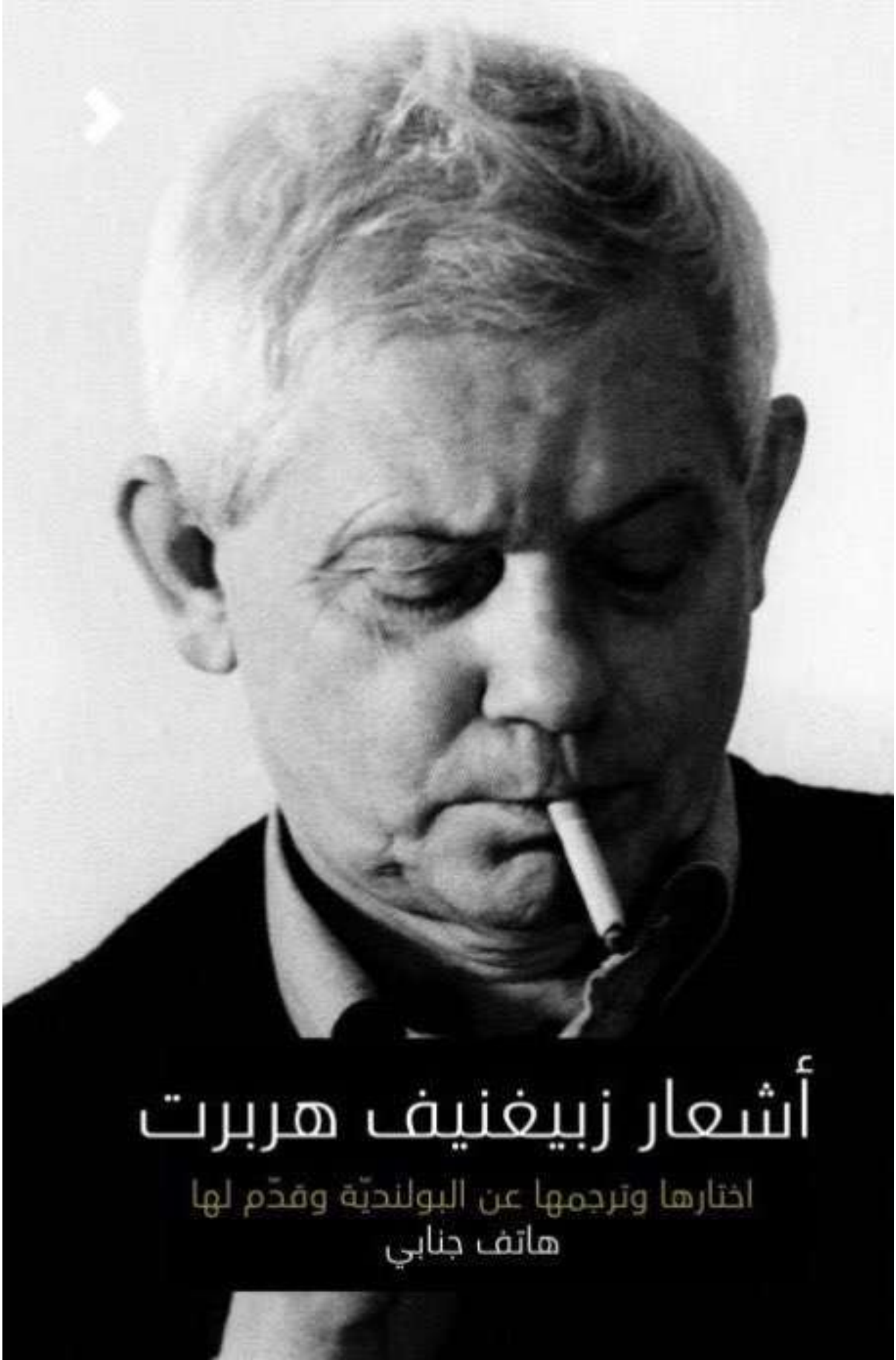

أشعار زبيغنيف هربرت

اختارها وترجمها عن البولنديّة وقدّم لها

هاتف جنابي

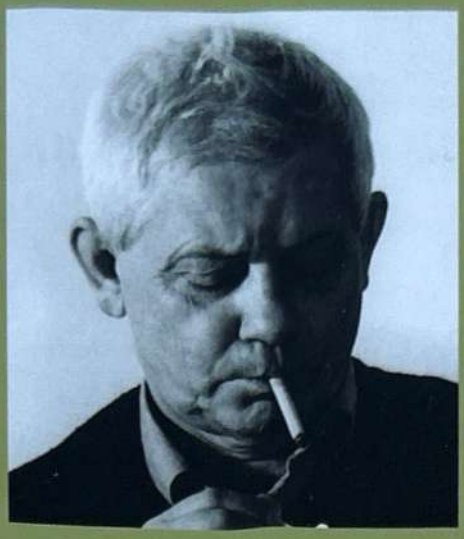

زبيغنيف هَرْبرت (Zbigniew Herbert) (1924-1998) شاعر بولنديّ حظيَ شعره بتقدير عالميّ. أصدر عشر مجموعات شعرية، وكتب مسرحيات إذاعية ودراسات كثيرة. رُشّح لنيل جائزة نوبل لكنه توفي قبل الحصول عليها. عاش في المنفى الاختياري فترة قصيرة قبل العودة إلى بولندا أثناء انهيار نظامها العسكري ودخولها في مرحلة من الفوضى و الغموض السياسي. أُطلق على عام 2018 "عامَ هربرت" رسميًا في بولندا وجرى الاحتفاء بتجربته الإبداعية على نطاق واسع طوال العام.

هاتف جنابي ، شاعر وأديب ومترجم عراقي ولد في العام 1951. تحصّل على بكالوريوس اللغة العربية وآدابها في جامعة بغداد (1972) وماجستير اللغة البولندية وآدابها في جامعة وارسو (1979) ودكتوراه المسرح في الجامعة نفسها (1983) حيث يعمل أستاذًا محاضرًا في الأدب والثقافة العربية. لعب دورًا مشهودًا كوسيط بين الثقافة البولندية والعربية، مترجمًا أهمّ شعرائها إلى العربية وناشرًا الكثير من الدراسات عن الأدبين العربي والبولندي خلال الثلاثة عقود المنصرمة. من أعماله الشعرية: وليمة الأسماك (2017) وموعد مع شفرة السكين (2010) ورغبة بين غيمتين (2009) وفراديس أيائل وعساكر (1998).

أشعار زبيغنيف هربرت

خوفنا
ليس له وجهُ ميّت
الموتى لطفاءُ معنا
نحملهم فوق الأكتاف
ننام تحت الدثار نفسه
نُسْبلُ العيون
نُعَدّلُ الأفواه
نختارُ مكانا يابسا
وندفنهم..

لم يحظ شاعرٌ بولندي في الثلاثين سنة الأخيرة بإجماع النقّاد والشعراء والقرّاء كما حظي به شعر وشخصية الشاعر زبيغنيف هربرت. لقد رأى في الشّعر مجالًا وأداة للغضب والتنفّس والتأمّل وتصفية حساب مع رداءة العالم. الشعر بالنسبة إليه يعني أيضًا امتلاك قوّة خفيّة، والقُدرة على التخفيف من وطأة المعاناة والازدراء في المجتمع. ثمّة في شعره ثيمات مهمّة تتناول العلاقة بين الفرد والأنظمة الشموليّة، بين الفرد والطبيعة، وبينه وبين مُحيطه، علاوة على تناول مصائر الأفراد الذين خانهم الأمل ونخرهم الألم جرّاء شجاعتهم وتضحياتهم. وظّف في شعره الأفكار والشخصيات والأحداث المستلة من التاريخ وكذا الأساطير الإغريقية ليجد فيها ما يمكن جعله مقاربة للواقع المعاصر. ولذلك ليس غريبا أن يصفه بعض النقاد بكونه "شاعر فكر".

لأوّل مرّة يُقدَّم الشاعر البولندي الشهير زبيغنيف هربرت إلى القارئ العربي في مختارات شاملة، انتخبها وترجمها الأديب هاتف جنابي الذي لعب دورًا مشهودًا كوسيط بين الثقافة البولندية والعربية، مترجمًا أهمّ شعرائها إلى العربية وناشرًا الكثير من الدراسات عن الأدبين العربي والبولندي خلال الثلاثة عقود المنصرمة.

قال عنه جوزف برودسكي، الشاعر المعروف: "مُقدّر لهذا الشاعر أن يبقى حيًّا أكثر من أيّ أحد منّا"

Photograph: Anna Beata Bohdziewicz / REPORTER/EAST NEWS
Cover design: Diana Chamma

ISBN 978-9948-39-155-5
9 789948 391555

روايات
REWAYAT

زبيغنيف هَربَرت

مختارات شعرية ونثرية

زبيغنيف هَربَرت

اختارها وترجمها عن البولنديّة وقدّم لها

هاتف جنابي

هذا الكتاب بدعم من:

1001 عنوان

مبادرة 1001 عنوان

زبيغنيف هَربَرت

تأليف: زبيغنيف هربرت
ترجمة: هاتف جنابي
تحرير: أحمد العلي

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9948-39-155-5

روايات
REWAYAT

إصدارات روايات (إحدى شركات مجموعة كلمات)
الطبعة الأولى 2020

القصباء - مبنى D
هاتف: 5566696 6 971+ فاكس: 5566691 6 971+
ص. ب. 21969 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
info@rewayat.ae
www.rewayat.ae

جميع الحقوق محفوظة © روايات 2020
محتوى هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر
تمت الموافقة على المحتوى من قبل المجلس الوطني
للإعلام / المرجع: MC-02-01-2473721

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل البولندي
© 2007 The Estate of Zbigniew Herbert

مجموعة كلمات
KALIMAT GROUP

المقدّمة

زبِيغْنيفْ هَرْبَرَتْ - Zbigniew Herbert

(29 تشرين الأول 1924-28 تموز 1998)

عَظَمَةُ الذوق[1]

"راقبِ العالمَ بطريقتك الخاصة لا كما فعل أسلافك"- هربرت

تمتاز بولندا بخصوبة شعرها وعديد شعرائها وكثرة مهرجاناتها ومؤتمراتها الأدبية والفنية، حتى أن هناك اعتقادا سادَ إلى زمن قريب يرى أن الشّعر هو أقوى الأنواع الأدبيّة في الأدب البولنديّ. لم يحظَ شاعرٌ بولنديّ في الثلاثين سنة الأخيرة بإجماعِ النقّاد والشعراء والقرّاء على أهميّة تجربته الشعريّة والشخصيّة كما حظِيَه الشاعر زبيغنيف هربرت. ما هي بواعث هذا الاهتمام يا تُرى؟ ولماذا يُنظر إلى هذا الشاعر بذاك التعاطف والاهتمام خلافًا لسواه؟ نعم، حظي شعر كل من الشاعرة فيسوافا شيمبورسكا، وتشيسواف ميووش، وتادئوش روزيفيتش باهتمام منقطع النظير، لكنهم كانوا وما زالوا محطّ جذب

1 استعرتُ عنوان المقدمة من قصيدة الشاعر هربرت: "عظمة الذوق" (المترجم).

وردّ، خاصة فيما يتعلّق بمواقفهم السّابقة من الشيوعية في بولندا، والتحوّلات السياسية اللاحقة. ولكي نضيء تلك البواعث فإننا نقترح مخْرَجين للمعالجة: المخرج الأوّل يمرّ عبر الحقبة التي عاش فيها الشاعر وسياقها التاريخي، والثاني يتناول خصوصيّة شعره ومواقفه.

1

هربرت ليس لقبًا بولنديّ المنبع، ولا سلافيًّا. تنحدر أصول عائلة هربرت من بريطانيا، لكنها هاجرت إلى النمسا، وفيما بعد انتقل جزء منها إلى شرق بولندا حيث قطنت في مدينة لفوف (تتْبع اليوم أوكرانيا). ويقال إن جدّه كان ذا أصول نصف أرمنيّة. لكن اسمه (زبيگنيف) هكذا يُلفظ بالبولندية بحرف الـ (گ) في الكردية والفارسية، وإذًا فهو بولنديّ صرف.

وُلد زبيغنيف بولسواف هربرت في مدينة (لفوف) في 29 أكتوبر/تشرين الأول عام 1924، وأنهى فيها مرحلة التعليم الإعدادي. كان أبوه بولسواف حقوقيًّا واقتصاديًّا، عَمِلَ مُديرًا لأحد بنوك لفوف التي كانت حتى الحرب العالمية الثانية تقع ضمن خريطة بولندا - في الجزء الجنوبي الشرقي تقريبا، حيث وُلد عدد من الشعراء والكُتّاب والفنانين البولنديين المرموقين. ورغم انتقال والده من لفوف إلى مدينة غدينيا، عند بحر البلطيق، إلا أنه أنهى دراسته فيها في قسم القانون في جامعة كوبرنيك، في مدينة تورون -غرب بولندا، كما ودرس التجارة في كراكوف- جنوب بولندا، ودرس الفن وقبلها الفلسفة على يد الفيلسوف والحقوقي البولندي هنريك إلزينبيرغ (1887-1967)

الذي ربطته به فيما بعد لقاءات وحوارات، فصداقة مديدة، فقد كان أستاذًا ومثالًا للمفّكر العميق والنزيه بالنسبة لهربرت، نلمس أثره في شعره (أُنظر قصيدَتَيه "إلى ماركوس أوريليوس" و"إلى هنريك ألزينبيرغ بمناسبة عيد ميلاده المئة". هربرت يتحاور ظاهريا في شعره مع من يصطفيهم من الشخصيات التاريخية والأدبية، ممَرّرًا في الوقت نفسه أفكاره ورؤاه بطريقة ذكية لافتة، يُحسّ القارئ المجتهد انعكاسها على الواقع المعاش.

وُلد هربرت بعد مرور ست سنوات على نيل بولندا الاستقلال في العام 1918، وانتصارها بقيادة الجنرال يوزف بِيوْسُودْسْكِي، للمرّة الأولى على الجيش الروسي. وصادفت ولادته أيضًا سنةَ تأسيس نادي القلم البولندي عام 1924، أي بعد أربع سنوات على تأسيس اتّحاد الأدباء المحترفين البولنديين عام 1920 (استُبدل الاسم بعد الحرب باتّحاد الأدباء البولنديين). نفهم من كل ذلك أنّ هربرت وُلد في فترة تشكُّل الوعي البولندي المسلوب بعد فترة تقسيم بولندا وتغييبها، كليًّا -أو جزئيًّا- عن الخريطة لما يقارب المئة وثلاثة وعشرين عامًا سبقت قيامها من جديد عام 1918، ويعني هذا أيضا، ولعل هذا أمر بالغ الحيوية، أنه وُلد في فترة نشوء جيل شعري وأدبي وفنّي مُهمّ، جرت دراسته على أنه "جيل ما بين الحربين" العالميّتين الأولى والثانية.

سبقت هذه المرحلة فترات مُهمّة في تاريخ الشّعر والأدب البولندي: فترة الشعراء الكلاسيكيين (يان كوهانوفسكي، وشازينسكي، وسواهما)، وفترة الرومانسية (ميتسكيفيتش، وسووفاتسكي، ونورفيد، وآخرون)، وفترة بولندا الفتاة (1891-1918) التي يمكن

اعتبارها بمثابة رومانسية جديدة، لأنها اتّخذت الرومانسية الأولى مرجعية لها، مغلّبة في شعرها المشاعر والانفعالات والطبيعة على الفكر كما فعل ممثلو الرومانسية الأولى. كان هربرت واعيًا لمآسي الحرب العالمية الثانية شاعرا وإنسانا، ومدركا لتجربة ما بين الحربين الشعرية والفنيّة، ولهذا كان عليه أنْ يشق طريقه الشعريّة بصعوبة، وسط منافسة شعرية، وثقافية، وظروف مصيرية متمثلة في سطوة شعراء ما بين الحربين الأكبر منه سنًّا وتجربةً وشُهرة وقتئذ، مع ارتباط قسم منهم بالسُّلطة من جهة، وخلط الأوراق الناجم عن نشوب الحرب العالمية الثانية وأهوالها وعواقبها من جهة أخرى. أضفْ إلى كل ما تقدم حالة الشاعر الشخصيّة والنفسية ووضعه الحياتي الصعب.

لقد برزت ثلاثة تيارات رئيسة في تجربة تلك المرحلة الشعريّة والفنية عمومًا: تَمثّل الأوّل في نشوء جماعة سْكاماندر (Skamander) التي كانت تميل إلى التفاؤل والفرح والمواضيع المستقاة من الواقع والحياة اليومية والشخصية، ربما كانعكاس لحالة الانفراج والانشراح التي سادت بعد الحرب العالمية الأولى، لكن الجماعة لم تستشرف حينئذ –كما يبدو- ما ينتظرهم لاحقا من تحوّلات وويلات.

أمّا التيار الثاني فعبّر في نتاجه، خصوصا في الثلاثينيات، عن شعوره بتفاقم أزمة الحضارة، وتصاعد اليأس، وانحدار القيم الإنسانية. هذا التيار وجد له مُريدين، سواءً في نتاج الحركة الطليعية البولندية الأولى أو الثانية - في حقبة الثلاثينيات التي شكّلت في وقتها رافدا جريئا مُجدّدًا في الشعر البولندي، حتى نُظر إليها باعتبارها ردّة فعل على الرومانسية ونتاج بولندا الفتاة، كما في تجربة الشاعر

بشيبوش، والكاتب والرسام فيتكاتسي، والكاتب غومبروفيتش، وبايبر، وقبلهم برونو شولتز، وسواهم. ويمكن القول بأن نشوب الحرب العالمية الثانية جاء بمثابة تتويج لنبوءة تلك الرؤى الكارثية التي لم يتوقف زحفها إلا بولادة النظام الاشتراكي في بولندا بعد الحرب العالمية الثانية، لكنّ آثارها بقيت في الأدب البولندي إلى وقت متأخر. وعليه فإنّ هربرت وُلد وترعرع وعاش وعانى، مارًّا بفترة مفصليّة في تاريخ بولندا وأوروبا عمومًا، تمثّلتْ في تحولات كُبرى كانت تشي بتقلّبات مصيرية، في مقدمتها ولادة النازية والاحتلال، وفيما بعد النظام الاشتراكي بنسخته الستالينية في بولندا، ثم الحرب الباردة. هذه التحوّلات الكارثية حفرت في روح وجسد أوروبا حتى غيّرتها، وأدّت إلى ولادة نظام دوليّ جديد، وغيّرت أيضًا مصائر الناس والمبدعين على وجه الخصوص. كان هربرت يرى أن عليه كشاعر مثقف "أن يفهم المجهولية التي هي مفتاح لفهم العمل الإنساني". وقد تكون هذه المجهولية الوجهَ الآخر غير المرئي الذي يحرّك الأحداث ويرسم المصائر.

لابد من ذِكر أن هربرت وُلد في العشْريّة نفسها التي وُلد فيها شعراء وكُتّاب معروفون، مثل الشاعر والكاتب المسرحي تادئوش روزيفيتش (1921-2014) وفيسوافا شيمبورسكا (1923-2012)، وكاتب الخيال العلمي الشهير ستانيسواف ليم (1921 -)، وشاعر المقاومة كشيشتوف باتشينسكي (1921-1944)، وسبقهم كل من الكاتب المشاكس لئوبولد تيرمان (1920-1985) وتشيسواف ميووش (1911-2004). كل أولئك الشعراء والكتاب المعروفين جدًّا في بولندا وحول العالم، مضافًا إليهم الكاتب والرسام برونو شولتز

(1892-1942)، هؤلاء وغيرهم كثرٌ وُلدوا في لفوف جنوب شرق بولندا وفيلنوس (في حدودها الشرقية سابقا)، باستثناء شيمبورسكا في غربها وباتشينسكي في وارسو، ثم انتقل معظمهم بعد الحرب للعيش في مدينة كراكوف المجاورة. هؤلاء عمليًّا ينتمي معظمهم إلى جيل واحد، لكنّ رؤاهم متنوعة ومتفاوتة ومتباينة، وعليه: أن تكون شاعرا متميّزًا وسط شعراء وكتاب متميزين مشهورين كأولئك يعني أنك تحمل موهبة استثنائية، وإصرارا كبيرا. أمّا أن تحتفظ باستقلاليّتك في وَسَطٍ ذي لون آيديولوجيّ واحد مُهيمن على مقاليد الحكم، فذاك يعني أنك ذو شخصية قوية وشعور عالٍ بأهميّة الحرية والحقيقة، ولديك مشروع فكري وأخلاقي مستعد للتضحية من أجله، وما عليك سوى أن تحتمل عواقب اختياراتك المتمثّلة بالعزل والمحاصرة والمنع وصعوبة العيش، وهذا هو ما ميّز هربرت فعلا عن كثير ممّن سواه مِن معشر الشعراء والكتاب البولنديين الذين ترعرعوا أدبيًّا وثقافيًّا في ظلّ تحوّلات كُبرى تجري في أوروبا، اختاروا طائعين أو -مُكرَهين- محاباة النظام والحزب الحاكم والتعاون معه.

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية كان هربرت لا يزال فتىً، انتقلت عائلته من لفوف إلى غدينيا (وفيما بعد إلى وارسو حتى موته) وكان عمره 14 سنة، ولم يُلْحظ له نشاط شعري أثناءها كما هو الحال مع شعراء المقاومة وفي مقدمتهم كميل باتشينسكي، الذي جسّد في شعره الناضج وحياته وحدة متكاملة عبّر عنها بخَلْق جدليّة شِعرية -حياتية-وجوديّة تمثّلت في انخراطه في مقاومة المحتلّ النازي ودفْعه حياته ثمنًا لذلك.

انضمّ هربرت كما بدا أثناء الحرب إلى الجيش الوطني (AK) الذي كان هدفه الأساس هو مقاومة الاحتلال الهتلريّ لبولندا. فليس غريبًا إذا انعكستْ في شعره وحياته بشكل أو بآخر أحداث الحرب ومآسيها، كتحطيم الأنفس والمشاعر وتفتيت العُرى بين الناس، ناهيك عن تزوير التاريخ والجغرافيا والوعي والثقافة الذي يراه هربرت متمثّلًا في خضوع بولندا-ما بعدَ-الحرب إلى السّطوة السوفيتية. نلمس تلك الأجواء، خصوصا في دواوينه الأربعة الأولى: "وتر الضوء" (1956)، و"هيرمس، الكلب والنجمة" (1957)، و"دراسة الشّيء" (1961)، و"كتابة" (1969).

لم يبتعد هربرت كثيرا عن الواقع حتى وهو يُبحر في تاريخ وفكر وفنون أوروبا، فثمة انعكاس محسوس يمسّ وجود ومصير الفرد. في حوار امتدّ لحلقات على الراديو البولندي أُجريَ منتصف الثمانينيات، طُرح عليه سؤال: هل شعرك سياسيّ؟ فأجاب: إذا أخذنا السياسة بمعنى الوصول إلى هدف معيّن، فإنّه يمكن القول نعم، إنّه كذلك...". وقال أيضا: "في داخلي عنصر طبيعيّ يدفعني إلى ردّة الفعل العنيف أحيانًا، على الظّلم ونقص العدالة".

ذكر هربرت في حوار سابق ضمّه فيلم وثائقي يحكي حياته بعنوان "هربرت - المواطن الشّاعر" (2000) بأنه كتبَ "شعرًا كثيرًا كردّة فعل على الأحداث وعلى الأحوال الشخصيّة وحتى على الطبيعة...". كما لم تَفُتْهُ مسألةُ قراءة المرء لمواقفه ومراجعتها، على أن هكذا فِعل ليس بوسع كل إنسان أن يقوم به. وعليه "لا بدّ من توفّر لياقة كبيرة لدى الفرد لتصفية الحساب مع ماضيه".

كانت تضحياته والعوَز الذي لازمه حتى الموت قد آتى أُكُله في وقت متأخر جدا. مقابل عُسر الحال نرى أن الأحداث في الثمانينيات - في أوج حركة التضامن البولندية، جعلته أيقونة ورمزًا أخلاقيًّا ووطنيًّا ما زال حيًّا حتى اليوم.

رغم ذلك، لم يسلم هربرت من الوقوع في بعض التناقضات واللبس. إذ لو عُدنا قليلًا، لألفينا أنّه في حوار معه أجراه الصحفي ماريك أورامـوس عام 1981 -الـذي سُرّحَ لاحقًا من عمله مُدّة ثمان سنوات بسبب هذا الحوار تحديدًا- قد برّر انسحابه من اتحاد الأدباء البولنديين عام 1948 بالقول: "تركتُ الاتّحاد بسبب الكذب. لقد نفخوا في الواقعية الاشتراكية، ولم يكنْ لدي أية حظوظ في نشر ما كتبته في تلك الفترة، وعلى الأرجح أنني سبقتُ طردي من الاتحاد". الحقيقة التي لا بدّ من ذكرها هي أنّ هربرت، وباعترافه في مكان آخر، لم يكن ذا شأن أدبي عندما انسحب من اتحاد الأدباء، فقد قال: "إن خدمتي الأساسية كانت في أنني لم أُتْعِبْ المجلات الأدبية بمحاولاتي، ولم أكشف حقيقة كوني أكتب شعرًا منذ عام 1943 (من رسالة إلى الشاعر والناقد البولندي ستانيسواف بارانتشاك بتاريخ 6 آب 1990). ذكر هربرت في أكثر من مناسبة أن زملاءه أعادوه إلى الاتحاد في 17 كانون الثاني 1956، والبعض يقول إنه حصل على هوية عضو مرشّح للاتحاد فرع مدينة غدانسك في 17 كانون الثاني/ جانفي 1955. إنّ هذا التفاوت في ذكر الوقائع دفع البعض للقول إن هربرت يُقيم ستارًا بينه وبين مُحدّثه، وأنه يُطلق لخياله العنان أحيانًا خلافًا للحقيقة! عمليًّا، كلّ ما يتعلّق باختلاف التواريخ لا يعني القارئ العربي، لكن

الأمر الأكثر إثارة هو: لماذا نرى هربرت يتشبث بعام 1956 ؟

كان موت ستالين عام 1953 فرصة لبولندا كي تلتقط أنفاسها بعد معاناة كلّفتها كثيرا بسبب هيمنة السوفييت على مقاليد الأمور فيها حسب النسخة الستالينية. بقيت تلك الحال حتى سنة ست وخمسين، إذ شهدت بولندا انعطافة كبيرة تمثّلت في انطلاق إضرابات عماليّة واسعة في بوزنان - غرب بولندا - مطالبة بالإصلاح والتغيير، ولم يكن للسياسيّين من مَفَرّ سوى إجراء تغيير أساسيّ في قيادة حزب العمّال البولندي الموحّد، تمَثّل في انتخاب فواديسواف غوموووكا سكرتيرًا للحزب في أواخر حزيران 1956 ، فقام بمنح مزيد من الحريات، وإطلاق سراح السجناء السياسيّين، والسماح أكثر بالنقد والنقد الذاتي، حتى سُمّيت تلك الفترة بمرحلة "ذوبان الجليد"، وكاد السوفيتيّون أن يتدخلوا لولا أنهم تراجعوا في اللحظات الأخيرة. هذه السنة تُعدّ مفصليّة في تاريخ بولندا لأنها أسّست لتغييرات سُلطويّة لاحقة جرت في مطلع السبعينيات فكان انتخاب إدفارد غيريك سكرتيرا للحزب تتويجا لها. قام الرجل ببعض الإصلاحات والانفتاح على الغرب، وبحلحلة الأوضاع سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعمرانيًّا، وامتلأت الأسواق بالبضائع بأسعار زهيدة. وما إن حلت الثمانينيّات حتى تأسست حركة التضامن واشتدّ نضالها حتى سقط النظام الاشتراكي في 1989 وصارت بولندا "مستقلّة وحرة" حسب توصيف ممثلي النظام الجديد، نظرا لخروجها من الفلَك السوفيتي-الروسي. في عام 1956 بالذات أصدر هربرت وشعراء آخرون أولى دواوينهم الشعرية، واعتُبرت تلك السنة فاصلة في تاريخ بولندا السياسي والثقافي.

2

الجدير بالذكر أن هربرت الرافض للاحتلال النازي، لم ينخرط في موجة الدفاع عن الشيوعية أو الترويج للاشتراكية أو لستالين، كما أنه من خلال كتاباته اللاحقة لم يُبْدِ حماسةً للواقعية الاشتراكية التي برزت في أعقاب الحرب كنتيجة لولادة النظام الاشتراكي في بولندا. كما أنه لم يَقُمْ بدور المُخبر السرّي كما فعل آنذاك قسم من الشعراء والكتاب والمثقفين البولنديين، الذين خصّهم الشاعر تشيسواف ميووش بدراسته "العقل السجين" عام 1953. اتّخذت مواقف هربرت من أوضاع بلاده منحى نقديًّا رفضيًّا تصاعديًّا، منذ أواخر الأربعينيات من القرن الماضي حتى زوال النظام السابق. كان موقف هربرت واضحًا وقد أعلنه فيما بعد قائلا: "فترة ما بعد الحرب تلك فصل بشع جدا في تاريخ الأدب البولندي. وأنا وأمثالي نعتبر عام 1945 غزوا واحتلالًا وليس تحريرًا..."[2]. وقال أيضا: "سأموتُ في لا توافق مع العالم، هكذا بودي أن أموت[3]". لربما هكذا مواقف شكّلت عاملا من بين العوامل المهمة لتكوين شخصية شعرية ثقافية تحظى باحترام الرأي العام البولندي الذي سعى لإعادة بلورة نفسه وهويته وثقافته بعد سقوط النظام الاشتراكي عام 1989، فكانت حاجة النظام الجديد الرافض للإرث الشيوعي ملحّة لترويج مَنْ لم يرتبط بالحقبة الشيوعية من كُتّابه ومُفكّريه ونُشطائه السياسيين. لكن هربرت لم يكف عن نقد الشعب البولندي على مضض، واصفًا إيّاه بغير الناضج وقصير الذاكرة.

---

2 أنظر كتاب ياتيسك تشنادل "العار العائلي" حوارات مع الكتاب، لبلين، 1990، صفحة 181.

3 المصدر السابق، صفحة 184.

عانى هربرت جرّاء مواقفه غير المهادنةِ شظفَ العيش والحرمان، بحيث اضطُرّ إلى ممارسة أعمال عادية في الخمسينيات والستينيات. كان حلمه أن يسافر كثيرا لكي يكتب ما يرى ويتأمل، خصوصا في مجال الرسم الهولندي، وفِكر وميثولوجيا وثقافة اليونان القديمة، ومعايناته في الفن والأدب والثقافة في فرنسا وإيطاليا. نُشرت كتاباته النقدية تلك فيما بعد في خمسة كتب.

يرى هربرت أنَ الأدب لا يمكنه أن يحظى بشعبية، فالأدب الجيّد لم يكن قط شعبيًّا، ولم يكن مقروءا كثيرًا، فقد مات الكُتّاب الحقيقيون في فقر ونسيان. وعن دور الشعر قال: "إنها لمكابرة كبيرة القول إن الشعر يمكن أن يؤثر على مصائر العالم. فالمحرار لا يغيّر الطقس[4]". أما الفن فهو بالنسبة له "حامل قيم مطلقة". يشير النقاد ودارسو شعر هربرت إلى أنه لم يتخلص من شعرية ميووش وروزيفيتش إلا بعد ديوانه الرابع، لكننا نرى في ذلك مبالغة بحق شاعر اختطّ طريقه ببسالة المحارب العنيد.

كتب الكاتب لئوبولد تيرمان عن هربرت ما يلي: "كان عندي بعد ظهر اليوم هربرت. واحد من أفضل معاصريّ. إنه الشّاعر الأوّل في جيله، ولربما الأفضل في نطاق تاريخ بولندا بعد الحرب... وفي اعتقادي أنه يزرع النقاء الأخلاقي، دون هوادة، وفيٌّ لنفسه، للعرض أحيانا، لكن بأسلوب رصين بحيث لا يمكننا أن نجد ثغرة لديه ولا يمكننا إلّا أن نردّ عليه باحترام عميق[5]". وهذه شهادة مبكرة من كاتب

4 المصدر السابق، صفحة 200.

5 يوميات 1956، ئوبولد تيرمان (نُشر مقطع منه عام 1957، وطُبع كاملا في لندن عام 1980.

مثير لا يمدح اعتباطا. لا يخفى أن جملة من الظروف التاريخية قد تخدم هذا الكاتب الموهوب أكثر من سواه بالقدر نفسه من الموهبة.

حفر هربرت لنفسه مكانة خاصة في الشعر البولندي والعالمي، خصوصًا بعد صدور ديوانه الخامس "السيد كوجيتو" (1974). استعار كلمة كوجيتو (cogito) من القول الشهير للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596-1650): "أنا أفكّرُ فأنا إذن موجود[6]". نرى هذه الشخصية تظهر في شعره على أنها (هو) أو (أنا)، الضمير الغائب والآخر الحاضر المتكلم – امتداد الآتي، بعد أن يتماهى تماما مع كوجيتو. وما كوجيتو – العقل/ القناع سوى هربرت نفسه، بقضّه وقضيضه، بحيرته وتساؤلاته، وشكّه في الحضارة الحديثة وفي الأنظمة، وفي منظومة القيم الأخلاقية السائدة المتداعية. كان هربرت يؤمن بالدقة، والتّمام، والاتّساق شعرًا وفكرًا، ويعتقد تماهيًا مع أستاذه وصديقه الفيلسوف إلزينبيرغ بأن الشعر هو عضيد الفلسفة. أحَبّ العمارة والرسم لأنهما "فنّانِ دقيقان" حسب اعتقاده. ويعترف بأنه "لا يقرأ الرواية" لأنها لا تلائمه[7]. وبتبنيه شخصية كوجيتو يكون هربرت قد مال إلى جعل الشعر فضاءً للتفكير بمستوى خَلق الشكل والجمال.

كان هنريك إلزينبرغ يرى أن المنافسة ما بين الشعوب ليست سياسية واقتصادية، وأن "الشّعب" ليس منظومة بايولوجيّة، بل روحية، وإلزينبيرغ الذي انسحب فيما بعد من فلسفة القوميّة اعتقَد أن الأفكار هي التي تحرّك التاريخ وليس البايولوجيا[8]، ثم صار يؤمن

---

6 Cogito, ergo sum.

7 ورد ذلك في حوار له مع الراديو البولندي في 1972.

8 من فلسفة الثقافة، إلزينبرغ. كراكوف 1991.

أكثر بدور تاريخ ومسيرة الثقافة. تعلّم هربرت دروسًا من قراءة تاريخ الثقافات والشعوب فاستخلص عـبْرَةً مفادها أن المجازر وتنحية مبادئ القيم الأخلاقية في الصراع ما بين بَنِي البشر يقود إلى الانهيار. ويرى هربرت أيضا بأن أهداف السياسة تختلف عنها لدى الشاعر، لأن الأخير يقف إزاء قائمة قيم أخلاقية. وإذا كان الشّعر تعبيرًا عن الوجود الإنساني فعليه أن يبحث عن ما يُسَمّى بالقيم الخالدة، على الأقل تلك المجرّبة في الثقافة المسيحية وثقافات حوض البحر المتوسط. رغم اهتمامه الكبير بثقافات وتاريخ وفنون تلك الجغرافيا، فإنّه ينصح كلّ فرد بأن يبحث عن ذاته وحلوله الخاصّة: "راقب العالم بطريقتك الخاصة، لا كما فعل أسلافك".

عاش هربرت حالة اكتئاب عميقة عام 1967 استمرّت فترة، ربما كانت بسبب معاناته المعيشية أو ترحاله المتكرر، والعمل المضني على مشروعه الكتابي، وربما بسبب توتر العلاقة بينه وبين النظام القائم آنذاك وبين من دافع عنه من الكتّاب والمثقفين البولنديين. تشير زوجته كاتازينا إلى ازدياد مخاوف الشاعر من الوحدة، وإلى تدهور مزاجه، حتى بدأ يفقد الرغبة في الحياة، وكان لا بدّ من مساعدته. نصحه صديقه الأديب الفرنسي أندريه فرينو بزيارة طبيب نفسي، الأمر الذي نفعه قليلًا. كل ذلك ترك أثرا على كتابته بحيث دخلت إلى أجواء ديوانه "السيّد كوجيتو".

في عام 1958 التقى تشيسواف ميووش في باريس وكانت علاقتهما جيدة، لكنه في لقائهما الثاني عام 1968 في بيركلي في الولايات المتحدة الأميركية، حيث كانا ضيفين في بيت مترجم الأدب البولندي كاربنتر،

لوحظ أن هربرت كان متوتّرًا وعصبيًّا وعدوانيًّا حتى أنه أثناء جلسة شرب ونقاش، هاجم بشدّة وعصبيّة الشاعر ميووش مُتّهمًا إياه بضعف الوطنية، وأنه دعا إلى ضمّ بولندا إلى الجمهوريات السوفيتية. لكن ميووش حسب الشهود لم يتفوه بذلك قط، ووصف فيما بعد ادّعاء هربرت بالخبث والهراء، حتى أن قصيدة هربرت "إلى تشيسواف مييوش" التي كتبها في الثمانينيات بدت غير واضحة لقرّاءها، وقد يجيء عدم وضوحها من عدم قناعة الشاعر بفحواها. هذه الحادثة تؤكد أيضا الوضعَ النفسي السيّئ الذي عاناه هربرت. شخصيًّا، أضع "تقوّلات" هربرت في هذا الإطار وفي إطار الضائقة المالية التي كان يعيشها قياسا بميووش الذي كان محاضرا في جامعة بيركلي ويحظى بالدعم الأميركي. كانت نتيجته منح ميووش جائزة نوبل في الأدب عام 1980 في الوقت الذي كان هربرت يستحقها بجدارة. رغم كل ما جرى فإن ميووش قام بترجمة ونشر أشعار هربرت وتقديمه إلى قراء اللغة الإنكليزية.

حاول الشاعر والناقد البولندي ستانيسواف بارانتشاك، في دراسة له عن هربرت، أن يقدّم مفاتيح لفهم شعره، تشمل تصنيفات من قَبيل الحرمان والسخرية والإخلاص، ويرى أن قصائده تشكّل محاولة لتجديد التقاليد على أساس من المُثُل العليا والقيم المطلقة لحياة الفرد، ويرى أن هربرت حقّق أشياء لا يمكن أن يحققها إلّاه[9]. ويبقى هربرت أنموذجا للشاعر المعاصر المناهض للشمولية والانهزامية والتخاذل، والمدافع عن الإنسان وعن القيم المستمدة من الثقافة

9 أُنظر أسبوعية: Tygodnik Powszechny-1998, No 32.

المسيحية الأوروبية. وظّف في شعره الأفكار والشخصيات والأحداث المستلة من التاريخ وكذا الأساطير الإغريقية ليجد فيها ما يمكن جعله مقاربة للواقع المعاصر. وليس غريبا في أن يصفه بعض النقّاد بكونه "شاعِرَ فِكْر".

كان يرى في الشعر مجالا وأداة للتنفيس والتنفّس والتأمل وتصفية الحساب مع رداءة العالم. كان الشعر بالنسبة إليه أيضًا امتلاكًا لقوّة خفيّة وتخفيفًا من وطأة الألم والمعاناة والازدراء في المجتمع، وتحذيرًا من انهيار القيم والأخلاق والسقوط في الفراغ الأخلاقي. ثمة في شعره ثيمات مهمة أخرى تتناول العلاقة بين الفرد والأنظمة الشمولية، وبين الفرد والطبيعة، وبينه وبين محيطه، علاوة على تناول مصائر الأفراد الذين خانهم الأمل وهجرهم الحظ ونخرهم الألم والمعاناة جرّاء شجاعتهم وتضحياتهم ومواقفهم الإنسانية والأخلاقية.

تنتمي معظم قصائد هربرت إلى الشعر الحر، وله دور بارز في كتابة مجموعة من قصائد النثر البارعة، خصوصًا في ديوانه الثاني: هرميس، الكلب والنجمة (1957).

شكّلَ ديوانه "السيد كوجيتو" علامة فارقة في شعره، بأسلوب وفنيّة عالية وقاعدة فكرية/ فلسفية/ ثقافية عميقة. فهو بابتكاره شخصية كوجيتو الرمزية/ الاستعارية/ القناع، تمكّن من التعبير بحرية عن هواجس وطبيعة ومحنة الإنسان في عالمنا الراهن. فرغم إمكانية النظر إلى كوجيتو كوجه من أوجه الشاعر، فإنه ذو تفاصيل وصفات كَونيّة. أخذ الشاعر اسم كوجيتو من

فكرة التأليه أو التمجيد الديكارتيّة، بمعنى تمجيد الفرد، والأشياء والأفكار والقيم. تبدو شخصية كوجيتو مناهضة للسلفيّة الفكرية والاجتماعية والسياسية. وظّف الشاعر الفكر والحواس وعنصر السخرية والتناقض لفضح زيف عالم قاس وأعمى. السيد كوجيتو فضحَ أيضا عمَى الأفراد والجماعات الذين يستسلمون، كاستسلامهم مثلًا "للاحتلال السوفيتي لبولندا" حسب رأي الشاعر، مقابل جماعة قاومت الضغوط والملاحقات والحرمان. وتبقى مجموعة من القيم الأخلاقية العليا مثل النُّبل والإخلاص وعزّة النفس والشعور بالكرامة وحرية الاختيار هي المعيار في التفريق ما بين الخير والشر، والصالح والطالح لدى الشاعر (مثلًا في قصيدته: عظَمَة الذّوق).

يبقى هربرت شاعرا ومثقفا عميقًا حالِمًا بعالم أكثر جمالا ونُبلًا وإنسانية. كان يحلم بواقع مغاير للعالم الذي عاش فيه، الذي كان ينظر إليه على أنه فاقد للقيم الحقيقية وللأخلاق، متهالك على المال والجاه والقسوة. قال في حوار معه في أبريل/ نيسان 1986: "إن الإنسان ليس هو فقط ما هو عليه، بل هو ما يرغب أن يكونه، وبالتأكيد في ما أنا فاعله، كما يبدو لي، أُظهرُ ما أنا راغب في أن أكونه، ولستُ ما أنا عليه للأسف".

ضمّ ديوانه التالي "تقرير من مدينة محاصرة وقصائد أخرى" (1983) قصائده المعارِضة (مثلًا في قصيدته ذات النبرة النقدية/ الاحتجاجية العالية: تقرير من مدينة محاصرة). ما زلتُ أحتفظ بطبعة سريّة من هذا الديوان بورق عادي أصفر وحجم يسهل نقله وإخفاؤه. بعد هذه المرحلة نشر هربرت ديوانين، هما على التوالي:

"مرثية الوداع" (1990)، و "روفيجو" (1992)، وبدت نبرة القصائد فيها أكثر خفوتا، ونلمح فيها جوًّا من التأسّي والكآبة كأننا إزاء زوال عالم وبقاء الإنسان فيه وحيدا في مواجهة مصيره وخساراته، ولعل قصيدته الطويلة "مرثية وداع للقلم، الحبر، المصباح" خير مثال على ذلك.

جاء نشر ديوان "أبيلوج العاصفة" (1998) بمثابة وداع فِعْليّ لهذا العالم. ويرى الناقد والشاعر بيوتر ماتيفيتسكي أن هذا الديوان عبّر عن ألم ومعاناة الشاعر الجسدية والنفسية، فقد ألّفَ فيه سلسلةً من الأدعية وكأنها صلوات وابتهالات وأناشيد وشهادات لتسكين أُخْـرَويّ. كان هذا الديوان خاتمة رحلة الشاعر في عالم الشعر والنثر والنقد الذي برع الشاعر فيه أيضا. شعره عميق شفّاف وذو أفق إنساني عالمي.

وإذا ما أردنا وضع مسك ختام لتجربته الشعرية لاستطعنا القول، ولو بتكرار بعض ما سبق: يتميّز هربرت في أشعاره بأنه شاعر مثقف، موظّفًا التاريخ والميثولوجيا وتجارب شخصيات كلاسيكية وحديثة يرى فيها مادة شعرية - فكرية وروحية، أو حتى طاقة تدميرية، في خلق قصيدة حديثة تماما. يتميز شعره في المراحل الأولى بكثافة ودقة في استدعاء المجاز اللغوي والصور الشعرية المؤثرة، في صُنع نسيج شعري يميل إلى الخلق والدقة والاتساق، ويبتعد عن البهلوانيات والصّنْعة. لكننا نراه، في أشعاره الأخيرة، يميل إلى الوصف والوضوح المستندين إلى قوّة البناء الشعريّ/ الفكري، تتخلّله السخرية المبطّنة وعنصر المفاجأة، واللمسات الطريفة، لكنه يبقى متمسّكًا بجوهر الشعر وشغله على قصيدته منذ بدايتها حتى النهاية بدقة وإتقان يدل

على أنه يرسمها بحِرفية عالية. نلاحظ أيضا في أفكاره انحيازا واضحا للواقع البولندي والأوروبي. هربرت يكتب قصائده دون فواصل ونقاط، لذا حاولتُ قدر المستطاع الحفاظ على هذا الجو الفني والشكلي الذي اختاره، ولا أخفي الصعوبة التي واجهتني. عاش هربرت ومات كأحد الأساطير الفنية في بلاده. ربطتني به وبعائلته معرفة دامت قرابة 12 عامًا. كنت أول من ترجمه من البولندية إلى العربية، كما أظن، مطلع ثمانينيّات القرن الماضي، حيث نشرتُ ملفًّا عنه في مجلة" الآداب الأجنبية" السورية عام 1983، واستمرّت ترجمتي لقصائده حتى هذه اللحظة. إضافة إلى المنجز الشعري والنقدي، فإن لهربرت أيضا أعمالًا مسرحيّة ألّف بعضها للراديو في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، مثل "كهف الفلاسفة"، و"إعادة بناء الشاعر"، و"الغرفة الثانية"، و"الدُّمَى"، و"رسائل قُرّائنا".

حظي شعر هربرت باهتمام بولندي وعالمي واسعين. فحاز على جوائز بولندية وعالمية عدّة، منها جائزة (Lenaua) النمساوية لعام 1965، وجائزة (Herder) النمساوية أيضا لعام 1975، كما وكان من بين أهم المرشحين لجائزة نوبل للآداب قبل ميووش وشيمبورسكا. موقفه من الأحداث السياسية في بلاده دفعه للعيش في المنفى مرّات عدّة متقطّعة، قضى معظمها في فرنسا، وقبلها في النمسا وإيطاليا. عانى شظف العيش في بداية حياته الأدبية، والمرض في أواخرها. كان أيقونة المعارضة الشعرية، خاصة حركة التضامن التي انخرط في الدفاع عنها. كان القراء يتلقفون أشعاره كرغيف الخبز الذي شَحّ في الثمانينيات وما يليها. وبعد موته في 28 تموز 1998، تأسّست جوائز

شعرية وأدبية ومدارس وشوارع ومؤسسات داعمة للثقافة باسمه.

شِعرُ زبيغنيف هربرتْ يكاد يخلو تماما من علامات الترقيم - كالفوارز والنقاط والنقطتين والفاصلة المنقوطة وعلامتي التعجب والسؤال وسواها - كما أنه يقدّم ويؤخر باستخدام الصفات والأفعال والأسماء، فكان بالنسبة لنا وللغة العربية تحديًا كبيرًا. قمتُ بالحفاظ قدر المستطاع على هذه الروح، وكأنني أسير على الحافة، لأن ذلك يُشكّل أسلوب هربرت الشعري وشكل قصيدته ولا يمكن نقل تجربته -أو بالأحرى فنيّته وتفرّده- بترجمة شعره وإخضاعه لمتطلبات اللغة العربية في كل صغيرة وكبيرة، وإنما ينبغي المحافظة على هكذ تقديم وتأخير شريطة عدم حصول اللبس، والتقليل إلى أبعد حدّ من الترقيم التي يتجاهلها كثيرا شعر هربرت، فلربما هكذا تعامُل مع النص الأصلي سيُغني العربيّة، ويحرّض على المراجعة في النظر إلى لغة الآخر المختلفة، والتأمل في كيفية الكتابة والتفكير باللغات الأجنبية. وعليه، فإن ما وردَ منها هنا جاءَ به المترجمُ عن قصد.

الأعمال الشعرية

1. "وتر الضوء" (Struna światła)، وارسو 1956؛
2. "هيرميس، الكلب النجمة" (Hermes, pies i gwiazda)، وارسو 1957؛
3. "دراسة الشيء" (Studium przedmiotu)، وارسو 1961؛
4. "كتابة" (Napis، 1969؛
5. "السيد كوجيتو"(Pan Cogito)، وارسو 1974؛
6. "18 قصيدة" (18 wierszy)، وارسو 1983(طبعة سرية محدودة الصفحات) نشرت في طبعة باريسية موسعة؛
7. "تقرير من مدينة محاصرة وقصائد أخرى" (Raport z oblężonego miasta i inne wiersze)، معهد الأدب، باريس 1983؛
8. "مرثية الوداع" (Elegia na odejście)، معهد الأدب، باريس 1990؛
9. "روفيجو" (Rovigo)، فروتسواف، بولندا 1992؛
10. "أبيلوج العاصفة" (Epilog burzy)، فروتسواف 1998.

بالإضافة إلى مختارات شعرية بطبعات متعددة لعل أهمها تلك التي قام بانتقائها الشاعر نفسه "89 قصيدة" وصدرت عام 1998، وأخيرا لابد من الإشادة بطبعة أعماله الشعرية الكاملة المعتمدة في ترجمتنا هذه التي جمعها وحرّرها ونشرها كاملة في كراكوف بثلاث طبعات (2007، 2011، 2017) الشاعر والمترجم والناشر البولندي (ريشارد كرينيتسكي).

الأعمال النقديّة

1. "البربري في الحديقة" (Barbarzyńca w ogrodzie)، وارسو 1962.
2. "طبيعة جامدة مع لجام" (Martwa natura z wędzidłem)، فروتسواف 1993.
3. "متاهة عند البحر" (Labyrint nad morzem)، منشورات الدفاتر الأدبية، 2000.
4. "ملك النمل" (Król mrówek)، دار نشر a5، كراكوف 2001.
5. "العقدة الغوردية[10] وكتابات أخرى متفرقة" (Węzeł gordyjski i inne rozproszone pisma)، كراكوف 2001.

10 العقدة الغوردية نسبة إلى حادثة منسوبة إلى الكسندر الأكبر سنة 333 ق. م حينما كان في أحد قصور ملك فريجيا الكائن في منطقة غوردوم الواقعة ضمن حدود الإمبراطورية الفارسية آنذاك. فكان ينبغي حل تلك العقدة الخفية العصية المربوطة بحبل قوي سرّي، فقام إذاك ألكسندر بحلها من خلال قطعها بسيفه. المقصود هنا العقدة العسيرة على الحل. وللفنان جان- سيمون برتلمي(1743-1811) لوحة معبرة عن تلك الأسطورة دخلت هي الأخرى تاريخ الفن. نلاحظ أن هربرت كان يوظف معرفته بالتاريخ والميثولوجيا وثقافات حوض البحر المتوسط في كتاباته النقدية أيضا ويسحبها على عالمنا المعاصر.

شكر وتنويه

أودّ أنْ أقدّم شكري الجزيل للصديقة المترجمة المستعربة (حنّا يانكوفسكا) على مراجعة بعض المقاطع والقصائد معي كي تظهر هذه الترجمة بهذه الشكل الأمين للقارئ العربي. شكر خاص لدار روايات ومدير تحريرها الأستاذ أحمد العلي، على تبنّيه متابعة ونشر هذا العمل المهم الذي استغرق العمل فيه سنوات طويلة لشاعر وكاتب بولندي يُعتبر أحد أعمدة الشعر والأدب في بولندا وأوروبا. تعرّض هربرت إلى بعض التشويهات من لدن البعض ممن لا يعرف اللغة البولندية. قمت بترجمة ونشر مجموعة من قصائد الشاعر من البولندية مباشرة مطلع الثمانينيات من القرن المنصرم وتوالى اهتمامي بنتاج الشاعر هربرت حتى تمخّض عن إنجاز هذه المختارات الضخمة التي لم تُسْعف الظروفُ في نشرها مبكّرًا.

لكن في النهاية لا يصح إلا الصحيح.

هاتف جنابي، وارسو، مطلع حزيران 2019

وتر الضوء

STRUNA ŚWIATŁA

(1956)

قطرتان

Dwie krople

الغاباتُ احترقتْ-
وهما
شبكا بالأيدي الرقبتين
كباقتي ورد.

هرع الناسُ إلى الملاجئ-
لكنّه قال إنّ لزوجته شَعرا
يمكنُ الاختباءُ فيه.

بَيْنا هما يختبئان تحت غطاء واحد
همسا بكلماتٍ خليعة
بترتيلة العاشقين.

عندما حَمِيَ الوطيسُ
تمعّنت العينُ بالعين بإصرار
وبقوة أغْمَضاها.

بقوةٍ هكذا بحيث لم يشعرا بالنار
التي اقتربت من الأهداب.

كانا شجاعين حتى النهاية
كانا مخلصين حتى النهاية
كانا متشابهين حتى النهاية
كقطرتين
محبوستين على حافة الوجه

البيت

Dom

بيت خارج فصول السنة
بيت الأطفال الحيوانات والتفاح
مربع فضاء فارغ
تحت نجمة غائبة

البيت كان منظارَ طفولة
البيت كان جلدَ إثارةٍ،
كان خدَ الأختِ،
وغصنَ الشجرة

الخد تطاير لهبا
الغصنُ مَحَتْهُ الرصاصة
فوق رمادِ عشٍّ مذرور،
أغنيةُ مُشاةٍ مشرّدين

البيتُ مكعّبُ طفولة
البيتُ نردُ إثارة

جناحُ أخت محروقة
ورقةُ شجرة ميّتة

ثلاث قصائد من الذاكرة

Trzy wiersze z pamięci

I

لا يمكنني العثورُ على عنوان
ذكرياتي عنك
بيدٍ منتزعةٍ من العتمة
أخطو فوق آثار الوجه

لقد تجمّدت الصورُ الجانبية
الصديقةُ في خطّ الكفاف الثابت

يحومُ فوق رأسي
الفارغ مثل جبهة الهواء
إهابُ رجلٍ من ورقٍ أسود

II

عائشا- رُغْمَ
عائشا- ضِدّ
أُزِيحُ عن كاهلي خطيئةَ النسيان

لقد تركتُم العناقَ مثل كنزةٍ زائدةٍ
والنظرةَ مثل السؤال

أيادينا لا تنقلُ شكلَ أياديكم
نُبَدّدُها بلمس الأشياء المبتذلة

تعكس العيونُ السؤالَ
هادئة مثل مرآة
ليستْ متعفنةً بالتنفس

أجَدّدُ كلَّ يومٍ نظرتي
يكبرُ كلّ يوم لَمْسي
مُدَغْدَغًا بقرابةِ وفرةِ الأشياء

الحياةُ تتدفقُ مثل دمٍ
الظلالُ تتبددُ بوداعةٍ

دعونا لا نَسْمَح للموتى بأنْ يُقتلوا-

ربما ستنقلُ الغيمةُ الذكرى-
صورة جانبية بالية لعُملةٍ رومانية

III

النساءُ من شارعنا
كنَّ عادياتٍ وطيّبات
حملنَ من الساحات بصبرٍ
باقاتِ خُضرواتٍ مُغذيّة

الأطفالُ من شارعنا
بلاءُ القطط

الحَمَاماتُ –
رماديّةٌ ووديعة

كان في المتنزّهِ تمثالُ الشاعر
تَحلّقَ حوله الأطفالُ
مُطلقينَ صيحاتٍ ملونة

الطيورُ حَطّتِ فوقَ يديهِ
قَرَأتْ صمْتَهُ

الزوجاتُ في مساءات الصيف
انتظرنَ بصبرٍ الأفواهَ
المُعَطّرَة بتبغها المألوف

لمْ تستطع النساءُ أنْ تقلنَ
لأطفالهنّ: هل سيعودُ

حينما غابتِ المدينة
أطفأنَ النارَ وأيديهنّ
مُطبقة على العيون

الأطفالُ من شارعنا
كانَ موتُهم قاسيا جدا

الحَمَامَاتُ تهاوَتْ
كهواءٍ صريع

الآنَ شفتا الشاعرِ
مثل أفقٍ فارغ

الطيورُ الأطفالُ والزوجاتُ لا يمكنهم أن يسكنوا
في قواقعِ المدينة المأتميّة
في زغبِ الأرْمدةِ البارد

تقف المدينةُ عند ماءٍ
أملسَ كذاكرةِ المرآةِ
تنعكس من قرارة الماء

ثم تطيرُ إلى نجمة عالية
حيث الحريقُ يفوح بعيدا
مثل صفحةٍ من الإلياذة[11]

11 الإلياذة: ملحمة شعرية ألّفها الشاعر الإغريقي هوميروس (القرن الثامن قبل الميلاد على الأرجح) وهي تحكي حصار طروادة (المترجم).

كتابة

Napis

تنظرين إلى يديّ
هما هزيلتان- تقولين- كزهرتين

تنظرين إلى فمي
ضئيل هو كي ينطقَ: العالم

- من الأفضل أنْ نتأرجحَ فوق سُوَيقِ اللحظات
لنرشف الريحَ
لننظرْ كيف تزوغ أعيننا
فعطر الذبول هو الأعذبُ
وشكلُ الخراب يُخدّر

في داخلي لهيب يفكّر
وريحٌ للحريق وللشراع

لي يدان توّاقتان
يمكنني

أنْ أسوّي من الريح
رأسَ الصديق

أستظهرُ القصيدة التي بودّي
أنْ أترجمها للسنسكريتية
أو لغة الأهرام:

حينما ينضب نبعُ النجوم
سنضيءُ الليالي

وحينما تتحجّر الرياح
سنحرّك الهواء

إلى ماركوس أوريليوس
Do Marka Aurelego

إلى البروفسور هنريك ألزينبرغ

تصبح على خير يا ماركوس، أَطْفِئ المصباح
وأغلقِ الكتابَ الذي هو فوق رأسك
يرتفع صخبُ نجوم فضّي
إنّها السماء تتكلمُ بلغة غريبة
إنه صراخٌ بريريٌّ للذعر
الذي لا تعرفه لاتِينيّتُك،
إنه خوفٌ أبديّ خوفٌ قاتم
يبدأ بأرض البشر

يصطدمُ وينتصرُ أتسمعُ الهديرَ
إنّهُ المدّ. يهدم حروفك
تيّارُ العناصرِ المتدفّقُ
حتى تنهارَ جدرانُ العالم الأربعة
ماذا سيبقى لنا- في مهبّ الريح نهتزُّ
ومن جديد ننفثُ الرمادَ نهيّجُ الأثيرَ

نعضُّ أصابعنا نبحث عن كلمات فارغة
ونَجُرُّ وراءنا ظلال الشهداء

إذن فمن الأفضل يا ماركوس لك أنْ تُنَحّي الهدوء
أنْ تمُدّ يديك أعلى من العتمة
ليهتزّ الكونُ الأعمى
حين يقرعُ الحواسّ الخمس
كما لو بقيثارة رهيفة
يخوننا الكونُ علمُ الفلكِ
حسابُ النجومِ وحكمةُ العشبِ
وقَدْرُكَ العظيمُ للغاية
وبُكائي العاجزُ يا ماركوس[12]

12 ماركوس اوريليوس (121-180 م)هو الإمبراطور الروماني السادس عشر، كاتب وفيلسوف، يعُتبر من بين أهمّ الرواقيين (المترجم).

الكاهن

Kapłan

الكاهن الذي نزل
إلهةُ إلى الأرض

في معبدٍ مُحَطّم
أشاحَ عن وجهٍ بشري

الكاهن العاجزُ
الذي وهو يرفع كِلْتَي يديه
يعرف لا مطرٌ هناك أو جراد
لا حصاد أو تصويتُ رعد

-أكرّرُ آيةً بالية
بنفس تعويذة
الإعجاب

رقبتي الممتدة حدّ الشهادة
تدقّها يدُ مُستهزئ مُنبسطة

رقصتي أمام المذبح المقدسة
يراها فقط ظلٌّ
متسكعٍ بإيماءاته

-مع ذلك
أرفع العينين واليدين
أرفع الترتيل
وأدري أنّ دخّان الأضاحي
الصاعد نحو السماء الباردة
يجدلُ ضفيرةَ إلهٍ
بدون رأس

معمار

Architektura

فوق قوس خفيف-
حاجب من الحجر

على جبين الجدران
الخالص

في نوافذ بهيجة ومشرعة
حيث الوجوهُ بدلا من زهرة الغرنوقي

حيث المستطيلات الدقيقة جدا
جنب منظور حالم

حيث التيارُ المستيقظُ زخرفةً
في حقل سطح هادئ

حيث الحركة واللاحركة الخطُ والصَّرْعة
اللايقينُ الراعشُ والسُّطوعُ البسيط

أنت هناك
أيها المعمارُ
يا فنّا من الفنتازيا والحجارة

أنت هناك الجمالُ الساكنُ
فوق قوسٍ خفيف
كالتنهد

فوق الجدار
الشاحب رِفْعَةً

وفي النافذة
الدامعة زجاجا

أنا منفيٌّ الأشكال الواضحة
أعلنُ رقصتَكَ الجامدة

الوتر

Struna

الطيورُ تترك
في الأعشاش ظلالها

لذلك ضَعْ مصباحا
آلةً وكتابا

هيّا بنا إلى التلة
حيث ينبتُ الهواء

النجمة الغائبة
سأريكَ بالإصبع

عميقا تحت المضمار
جذورٌ حنونة

يَنَابيعُ الغيوم
التي تَتدفّقُ صافية

الريحُ تُطبق فمَها
كي نغني

نحنُ نُجَعّدُ الجِبَاهَ
لا ننبسُ بكلمة

للغيومِ هالاتٌ
كالقديسين

عندنا أحجارٌ
سوداءُ بدلا من العيون

الجرحُ بعد الفراق
تشفيهِ الذاكرة الحسنة

يمكنُ أنْ ينزلقَ اللمعُ
على الظهور المنحنية

حقا حقا أقولُ لكم
الهوّةُ واسعةٌ
بيننا
والضوء

شاهِدي

Zobacz

الزرقةُ باردةٌ كالحجر الذي تشحذ الملائكةُ
أجنحتَها عليه مُترَفّعينَ وسماويينَ للغاية
يسيرون على مراتبِ الومض وأحجار الظل
يسقطونَ في سماء وهمية ببطءٍ
لكنهم بعد لحظةٍ يخرجونَ أكثرَ شحوبا
في الجانبِ الآخر من السماء في جهة العين الأخرى
لا تقولي هذا ليس حقيقةً ليس هناك ملائكة
غارقة في بِرْكة الجسد الكسول
أنتِ التي ترينَ كلّ شيء بلونِ عينيكِ
وتصيرينَ ممتلئةً بالعالم- عند حدود الرِّمش

الوصية

Testament

سأترك للعناصر الأربعة
كلّ ما امتلَكْتُه لفترةٍ وجيزة

للنار - الفكرُ
فلتزدهر النارُ

للأرض التي أحببتُها كثيرا
جسدي هذه الحبّة الفارغة

وللهواء الكلماتُ واليدان
والأشواقُ، وهي أشياء ثانوية

وما سيبقى
فهو قطرةُ ماء
لِتَدُرْ بينَ
الأرض والسماءْ

لتكنْ مطرا شفيفا
سرخسَ صقيعٍ رقائقَ ثلج

عساها لا تصلُ السماءَ أبدا
عبر وادي الدموعِ لأرضي

لتعدْ قطرةَ ندى، بوفاء
وصبرٍ تفتّتُ التربة اليابسة

سأعيدُ قريبا للعناصر الأربعة
ما مَلكتُه لفترة وجيزة

لكنني- لن أعود لمصدر السكينة

غابة الأردن

Las Ardeński

ضعْ يديكَ هكذا حتى تتشربا بالحلم
كما تتشرب الحبّةُ بالماء
ستجيء غابة: غيمةٌ خضراء
وجذعُ بتولا كوترِ الضوء
وثمة ألف جفن يهتزُّ بكلام مورق منسي
عندها ستتذكر الصباحَ الأبيض
وأنت بانتظار انفتاح البوابات

تعرف أن هذه الأرض سيفتحها طائرٌ
نائم في الشجرة والشجرة في الأرض
لكنْ هاهنا منبع الأسئلة الجديدة
وتحت القدم تيّاراتُ الجذور السيئة
إذَنْ حدّقْ في نسق القشرة التي
يهصرها وترُ الموسيقى
عازفُ العود يشدُّ الأوتارَ
كي يَصْدَحَ ما هو صامت

نَحِّ الأوراقَ جانبا: ثمة أجمة توتٍ برية
قطرةُ ندى فوق الورقة مشطُ عشب
بعدها ثمة جناحُ فراشة صفراء
ونملة تدفن أختها
وفي أعلى العنب البرّيّ المخادع
تنضج كمثرى برية حلوة
لهذا دون انتظار جوائز أكبر
اجلسْ تحتَ الشجرة
افتحْ كفّيك هكذا حتى تغرفَ الذاكرة
الحبوبَ اليابسة لأسماء الموتى
إذن مرة أخرى ثمة غابة: سحابة متفحمة
جبهة موسومة بضوء أسود
وألف جفن مطبق بإحكام
على الحدقات الساكنة
شجرة مخلوعة مع الهواء
وإيمان مغدور للملاجئ الفارغة

أما تلكم الغابة فهي لنا لكم
الموتى أيضا يطلبون بعضَ الحكايات
حفنة أعشابٍ، ماءَ ذكريات
إذَنْ خلل الإبرِ الصنوبرية والخشخشة
خلل الروائح والخيوط الواهية

وهذا لا شيءَ لأنّ الغصنَ يتحمل
لأنّ الظلّ يتنقل عبر ممرات ملتوية
لأنك ستجدُ وتفتحُ
غابتنا الأردنية[13]

13 غابة الأردن ورد ذكرها في مسرحية"As you like it"(كما تحبون) لشكسبير والتي احتمى فيها "بانيتا" وأتباعه بعد خصومة جرت بينه وبين أخيه "فريدريك" (المترجم).

أمّي

Mama

ظننتُ
أنها لا تتغيرُ أبدا

ستنتظر دائما
بفستان أبيض
وعينين زرقاوين
على عتبة كلّ الأبواب

ستبتسم دائما
وهي تلبس هذه القلادة

فجأة
انفرطَ العقدُ
والآن اللآلئ تَشْتو
في شقوق الأرضية

أمّي تُحِبُّ القهوةَ
البلاطَ الدافئ
والهدوء

تجلسُ
تُعَدّلُ نظّارَتها
فوق الأنف المدبّب
تقرأ قصيدتي
وبرأسها الأشيب تعارضها

هذا الذي سقط من على ركبتيها
يَزمُّ الفمَ يصْمتُ
وهكذا فالحديثُ غير سعيد
تحت المصباحِ منبعِ العُذوبة

أيها الأسى الذي لا يُحْتمَل
من أيّ الآبار هو يمتحُ
في أي الدروبِ يسيرُ
ابنٌ لا يُشبهُ الأحلام

أرْضَعْتُهُ حليبا سمحا
يكويه القلقُ
أنا شطَفتُهُ بدمٍ دافئ
يداه باردتان وخشنتان

بعيدا عن عينيكِ
المُخترقتين بحُبٍّ أعمى
يسهلُ عليه أن يتحمّل العزلة

بعدها بأسبوع
في غرفة باردة
بغصّةٍ في الحَلقِ
أقرأ رسالتها

في هذه الرسالة
تقف الحروف عزلاءَ
كقلبينِ مُتحابّين

آياتُ الوحديوجودي

Wersety panteisty

افْقديني أيتها النجمة
- يقول الشاعرُ-
اخترقيني بسهم البُعدِ

اشربْني أيها النبعُ
- يقولُ الشاربُ-
حتى الثمالةِ اشْرَبْني حتى التلاشي

لتمنحني العينان الجيدتان
التهامَ المناظر الطبيعية

الكلماتُ التي كان عليها حماية الجسدِ
لتجلبْ لي السقوطَ

لتزرع النجمةُ جذرا على جبيني
وليجردني النبعُ من إنسانيتي

ستستيقظ بعدها صامتا
بين يدي السكون
في قلب الشيء

مقطع من مزهرية إغريقية

Fragment wazy greckiej

في الصف الأوّل تَرى
جسدا صغيرا لفتى

اللِحْيَةُ على الصدرِ مُسْتندة
الركبتانِ ملمومتان
اليدُ كغصنٍ ميّت

أغْلَقَ عينيهِ
متخلّيا حتى عن أيوس

يداها مغروزتانِ في الهواء
وشَعْرُها محلولٌ
وخطوطُ ردائها
تُشكّلُ ثلاثَ دوائرَ حزن

أغْلقَ عينيهِ
مُتخلّيا عن درعه النحاسي

عن خوذتِه الجميلة
المزدانةِ بالدمِ والشارة السوداء
عن تُرْسِهِ المكسور
والرّمحِ

أغلقَ عينيهِ
مُتخلّيا عن العالمِ

الأوراقُ تتدلى في هواءٍ ساكن
يهتزُّ الغصنُ مضروبا بظلِّ طيورٍ مُحلّقة
وليس سوى جُدْجُدٍ مازال
مختبئا في شَعْرِ مَمْنون14
يُعْلنُ إشادةً
مقنعةً بالحياة

14 أيوس: إلهةُ الفجر في الميثولوجيا الإغريقية، وهي أم البطل الأسطوري (ممنون) الذي لقي مصرعه في حرب طروادة (م).

نَيْكه المُترددة

Nike która się waha

نَيْكه[15] هي الأجمل في اللحظة
التي فيها تتردّدُ
يدها اليمنى فاتنة كالأمر
على الرياح تتكئ
لكنّ جناحيها يضطربان

لأنها ترى
فتى وحيدا
يسيرُ في أخدود طويل
إثرَ عربة الحرب
في طريق رمادية في مناظرَ داكنة
من الصخور وشجيرات العرعر المتفرقة

15 نيكه: إلهة النصر في الأساطير اليونانية تظهر بهيئة امرأة فتية ذات جناحين وبيدها غصن زيتون، وهي راعية للرياضيين والمحاربين. جعلها الشاعر في هذه القصيدة شاهدا في المعركة، ولها نصب شهير في وارسو (1964) حيث تظهر نصف منتصبة ترفع يدها اليسرى عاليا، حاملة بيمناها سيفا أعلى من رأسها وكأنها تستعد للانقضاض (المترجم).

هذا الفتى
عمّا قريبٍ سيُقتل
كفةُ الميزانِ مع نصيبه للتوّ
تسقط فجأة
باتجاه الأرض

عند نيكة رغبة
في التقرّب منه
وعلى جبينه أنْ تلثمه

لكنها تخافُ
من أنّ هذا الذي لم يعرفْ
حلاوةَ المداعبة
سيعرفها
وربمّا سيهرب أسْوةً بغيره
في وقتِ هذه المعركة
لهذا فنيكه تتردّدُ
وأخيرا تقرّرُ أنْ تظلَّ
في موقعها
الذي علّمها النحاتون
أنْ تخجلَ جدا من لحظة الانفعالِ هذه

هي تفهمُ جيدا
أنهم غدا في الغبش
ينبغي أنْ يعثروا على هذا الفتى
بصدر منكشف
بعينين مُغْمَضَتين
بمِخْرَزِ وطنٍ لاذعٍ
بلسانٍ متخشّب

العِرافة

Wróżenie

كل الخطوط تغورُ في وادي الكفّ
في كُهَيْفٍ حيث موردُ الحظ يخفق
هو ذا خطُّ الحياة انظروا كيف يمرق كالسهم
أفق الأصابع الخمسة يكشفه جدول
مخترقا الحواجزَ مندفعا إلى أمام
وليس ثمة ما هو أكثر جبروتا أو أجمل
من هذا السعي إلى أمام

يا لحيرة خطّ الإخلاص عندها
كنواحٍ في الليل كنهر في الصحراء
مولودا في الرّمل ومندثرا في الرمل
قد يمتدّ أعمقَ تحت الجلد
يشقّ نسيجَ العضلات ويدخل الشرايين
كي يكونَ بإمكاننا أن نلتقي موتانا ليلا
في الداخل حيث يدور الدّمُ والذكرى
في المسارب والآبار والأروقة
المليئة بالأسماء المُظلمة

لم تكن تلك التلّةُ موجودة - أتذكر ذلك جيدا
كان هناك عشّ حنانٍ مدوّرا كما لو
أنه دمعةُ رصاصٍ ساخنة سقطتْ على الكفّ
مازلت أتذكّرُ الشَّعَرَ أتذكّرُ ظلّ الخدّ
الأصابعَ الهشّة وثقل الرأس النائم
مَنْ هدمَ العشّ مَنْ نَثَرَه
ركام اللامبالاة الذي لم يكن كائنا

ما بالك تضغط العينين بالكف
سنترك العرافة للذي تسأل

هرميس، الكلب والنجمة

Hermes, pies i gwiazda

(1957)

بودّي أنْ أصفَ

Chciałbym opisać

بودّي أنْ أصفَ أبسطَ المشاعر
الفرحَ أو الحزنَ
لكنْ ليس كما يفعل الآخرون
مُتوسّلا بشعاعِ المطر أو الشمس

أودّ أنْ أصفَ الضوء
الذي يولد في داخلي
لكنني أعرفه لا يُشبه
أيّ نجمٍ آخر
لأنه هكذا ليس جليّا
ليس نقيّا
ولا مُؤكدا

أودُّ أنْ أصفَ الشجاعة
دون أنْ أسْتَدرجَ خلفي أسدا مغبَرًّا
ولا قلَقا
دون أنْ أخضَّ القدحَ المملوء بالماء

بعبارة أخرى
أُعْطي جميع المجازات
من أجل عبارة
كالضلعِ مُسْتلّة من الصدر
مقابل كلمة
بمقاس حدود جِلْدي

على أنّ رؤية هذا تبدو غيرَ ممكنة
وكي أقول- أحبُّ
أركض كالمجنون
أقطف باقاتِ الطيور
أما رِقّتي
التي هي ليستْ من الماء
فترجوه أن يمنحها وجها

والغضبُ
مختلفٌ عن النار
لكنه يستعيرُ منها
لغة الكلام

هكذا يختلط
هكذا يختلط

في داخلي
هذا الذي يُشِيب سادتي
قَسَّمُوه مرّة واحدةً للأبد
ثم قالوا
هذا فاعلٌ
وذاك مفعولٌ به

ننام
بيدٍ تحت الرأس
والأخرى في تلّةِ الكواكب

أما الأقدامُ فتهجرنا
وتتذوّقُ الأرضَ
جذورا صغيرةً
في الصباح
نقلعها بألم

نفرتيتي

Nefertiti

ما الذي جرى للروح
بعد كلّ هذا الحبّ

آه، هي لم تَعُدِ الطائر الهائل
الذي يُصفّق بجناحيه الأبيضين
حتى غبش كلّ ليلة

الفراشة
حَلّقتْ عبرَ فم
نفرتيتي الميّتة
الفراشة
مثل نفسٍ
ملوّن

يا لها من طريقٍ طويلة
من التنهدِ الأخير
حتى أقرب أبدية

تطيرُ الفراشةُ فوقَ رأس
نفرتيتي الميّتة
تغلّفهُ بشرنقة
الحرير

نفرتيتي
أيتها اليَرَقة
حَتّامَ ينبغي انتظار
تحليقك
انتظارُ صفقِ الجناحين
الذي سيحملك
في يوم – واحد
في ليلةٍ- واحدة

فوق كلّ بوابات الهاوية
فوق كل منحدرات السماوات

ماذا يفعل موتانا

Co robią nasi umarli

(يان) جاء اليومَ صباحا،
حلمتُ بأبي
يقول

كان محمولا في تابوت من البلّوط
وأنا قُرْبَ النعشِ
أسيرُ وأبي يقول لي:

ألبَسْتُمُوني بشكل جميل
والتشييع جميلٌ جدا
يا لكثرة الزهور في هذا الوقت
لابدّ أنها كلّفتْكم كثيرا

لا تهتمَّ يا أبتي
أقول- فليرَ الناسُ
أننا أحبْنا أبانا
ولا شيءَ نندم عليه

ستةٌ في كُسًا سوداء
يسيرون بلطفٍ على الجانبين

فكّرَ أبي
ثم قال- مفتاح المكتب
في المَحبرةِ الفضية
وفي الخزانة الثانية على اليسار
مازال قليلٌ من النقود
بهذه النقود-أقول-
سنشتري لأبي لوحا كبيرا
من الرّخام الأسود

لا داعي– يقول أبي-
من الأفضل أن توزّعوها على الفقراء

ستةٌ في كُسًا سوداء
يسيرونَ بلطفٍ على الجانبين
يحملون فوانيسَ مُشتعلة

مرة أخرى كما لو أنه يفكر
-احرُسُوا الزهورَ في الحديقة
غَطّوها في الشتاء
لا أريدها أن تُهْدَرَ

أنتَ الأكبرُ-يقول-
خُذْ من الكيس خلف اللوحة
أزرارَ الأكمامِ ذوات اللآلئ
لتجلبْ لك الحظَّ
حصلتُ عليها من أمّي
عندما نجحتُ في الثانوية العامة
بعدَها لم يَقُلْ شيئا
يبدو أنه غطَّ أعمقَ في النوم

هكذا يهتَمُّ بنا
موتانا
يُنَبّهون عبرَ النوم
يوصلون النقود المفقودة
يحاولون أنْ يحصلوا لنا على وظيفة
يهمسون بأرقام المصير
أو حينما لا يستطيعون ذلك
ينقرون بأصبعهم على النافذة

أما نحن فبسبب امتنانا الكبير
نبتكر لهم سرمديةً
مَعْزُولةً كجُحْرِ الفأر

حكاية

Przypowieść

الشاعر يُحاكي أصوات الطيور
يمدّ رقبته الطويلة
والحَرْقَدَةُ الناتئة
كإصبع غير رشيقة على جناح اللحن

وهو يُنْشدُ يؤمنُ عميقا
بأنه يُعَجّلُ بشروق الشمس
وعلى هذا يعتمد دفء الغناء
ونقاءُ الأنغام العالية

الشاعرُ يُحاكي حلمَ الأحجار
وهو سادِلُ الرأس بين الكتفين
يُشبه قطعةَ تمثال
يتنفس بِنُدْرةٍ وعسر

وهو نائم يؤمن بأنه وحده
مَنْ يَسْبرُ سرّ الوجود

وأنه بدون مساعدة الفقهاء
بفمه المتعطش يُمْسِك بالخلود

ماذا سيكون عليه العالم
لو لم يملأه الصخب
المتواصل للشاعر
وسط الطيور والأحجار

مِقْرَعة

Kołatka

هناك مَنْ في رؤوسهم
يُربّونَ الحدائقَ
وشُعُورُهُم مَسَاراتٌ
لِمُدنٍ مُشْمسةٍ وبيضاء

بسهولةٍ يكتبون
يُغْمِضونَ أعينَهم
فتتدفقُ حالا من جباههم
أفواجٌ من الصور

مخيلتي
مجردُ كِسْرةِ لوح خشبي
وعندي عصا خشبية
من الآلة كلّها

أنقرُ اللوحَ الخشبي
وهو يُجيبُ

تك- تك
لا – لا

للآخرين جرسُ شجرةٍ أخضرُ
جرسُ ماءٍ أزرقُ
وأنا لي مقرعةٌ [16]
لحدائقَ دون حراسة

أنقرُ اللوحَ
وهو يُجيبُ
قصيدةٌ أخلاقيةٌ قاحلة
تك – تك
لا - لا

16 مقرعة أو مطرقة عادة ما توضع على الباب الخارجي لقرعه (المترجم).

المصطفون من قبل النجوم

Wybrańcy gwiazd

هذا ليس ملاكا
هذا شاعر

ليست له أجنحة
له يدٌ يمنى
مُرَيّشةٌ ليس إلا

يخبط الهواءَ بهذه اليدِ
يُحَلّقُ عاليا
وسرعان ما يهوي

حينما يكون مُنخفضا تماما
يرتفع بدفع رجليه
يتدلى في الهواء لحظةً
مُلَوّحا باليد ذات الريش

آه، لو تخلّصَ من جاذبية الطين
لأمكنه أن يسكنَ في عشّ النجوم
لأمكنه القفزَ من شعاع لشعاع
لأمكنه-

لكنّ النجومَ
بمجرد سماع ِفكرةِ
أنها ستصير أرضا له
تتساقط مذعورة

الشاعرُ يحجب عينيهِ
باليد المُرَيّشة
لم يَعُدْ يحلم بالتحليق
لكنما بالسقوط
الذي يُحددّ كالبرق
مَظهرَ الخلود

أبدا عنكِ

Nigdy o Tobie

أبدا لن أجرؤ على التكلم عنكِ
يا سماءَ منطقتي الهائلة
وحتى عنكِ أيتها الأسطحُ التي تَصدُّ شلاّلَ الهواء
الأسطحُ الزغبيةُ الرائعةُ يا شُعورَ بيوتنا
أصمتُ أيضا إزاءكِ أيتها المداخنُ يا مختبراتِ الحزنِ
الممدودة الرقابِ المُطوّحة من قِبَلِ القمر
وحولكِ أيتها النوافذ المفتوحة – المغلقة
التي تنفتحُ على اتساعها حينما نموت وراء البحر

لا أصفُ حتى البيتَ
الذي يعرفُ جميعَ فِراراتي وإياباتي
رغم أنه صغيرٌ ولا يترك أجفانه مغلقة
لا شيءَ يُساوي رائحة مدخلهِ المخضوضر
ولا صريرَ السلالمِ التي أحمل عبرها الفانوسَ المضيء
ولا حتى الورقةَ أعلى البوابة

أودّ الكتابةَ كما ينبغي عن مقبض البوابة الصغيرة لهذا البيت
عن مصافحتها الخشنةِ وصريرها الودود
رغم أنني أعرف عنها الكثيرَ
إلا أنني أكرّرُ بقسوةٍ فحسب ابتهالَ كلماتٍ مُبتذَلا
كثير من المشاعر توجدُ ما بين دقةِ قلبٍ وأخرى
كثيرٌ من الأشياء يمكن مسكها باليدين
لا تتعجبوا من كوننا لا نعرف كيف أنْ نصف العالم
نحنُ نتحدّثُ فقط إلى الأشياء برقةٍ وبالاسم

مدَرّس الطبيعيات

Pan od przyrody

لا يمكنني أنْ أستذكرَ
وجهَه

انتصبَ أعلى من رأسي
على رِجْلينِ مُنفرجتين
رأيتُ
سلسلةً ذهبية
صدريةً رمادية
ورقبة نحيفة
عُلّقتْ حولها
ربطةٌ دون روح

هو مَنْ أرَانا أوّلا
رِجْلَ الضفدعة النافقة
التي ما أنْ لمسها بإبرة
حتى تقلّصَتْ بَغتةً

أدخلنا هو ذاته
بواسطة المجهر
في الحياة الحميمية
لِجدّنا الأوّل
الشّبْشِبِ

هو مَنْ جلبَ
حبّةً داكنة
وقال: هذا إرغوت[17]
ومن كلامِه
صرتُ في سنّ العاشرة
أصبحتُ أبا
وبعد انتظارٍ متوتر
طلع برعمٌ أصفر
من كستناءة منقوعة في الماء
وكلُّ شيء صار يبتهج
في الأنحاء

في سنة الحرب الثانية
قتلَوا مدرّسَ الأحياء
قتله دجّالو التاريخ

17 الإرغوت أو مهماز الشيلم: هو فطر طفيلي ينمو على نبات الشيلم (المترجم).

إنْ ذهب إلى السماء-

فربما هو الآن يمشي
على اثنتين طويلتين شعاعين
بجوارب رمادية
بشبكة هائلة
وصندوق أخضر
يتدلى من الخلف بابتهاج

ولكنّه إذا لم يذهبْ إلى الأعلى

فإذا قابلتُ في الطريق الغابي
خنفساءَ تسارع
نحو ركام من الرّمل
سأقترب منها
أُنَحّي الرّجلينِ
وأقول:
-صباح الخير يا أستاذ
أتسمح لي بأنْ أساعدك-

أنقلهُ بلطف
وأتبعهُ بنظراتي

حتى يختفي
في غرفة الأساتذة الداكنة
في آخر رُواق الأوراق

الملاك السابع

Siódmy anioł

الملاك السابعُ
مُختلف تماما
حتى أنه يُسمّى بشكل مغاير
شَمْخَائيل

إنه ليس كجبرائيل
الذهبيّ
دعامة العرشِ
وَظُلّتُه

وليس كروفائيل
مُدَوْزِنُ الجوقات

وليس أيضا
كعزرائيل
سائِسُ الكواكب
مَسّاحُ الأبدية
والعارفُ المثاليّ بالفيزياء النظرية

شَمْخَائيل
أسودُ وعصبيّ
عُوقبَ لعدة مراتٍ
بسبب تهريبِ الآثمين

بين الهاوية
والسماء
طقطقتهُ متواصلة
لا يُقَدّرُ نفسَه تماما
ويحتفظون به وسط محفل الملائكة
نظرا للرقم سبعة لا غير

لكنه ليس كما الآخرين

ليسَ كرئيس المحفل
ميكائيل
المَكْسوّ بالأصداف والريش

ولا كإسرافيل
مُزَخرف العالم
وصيّ الحياة النباتية الوفيرة
بجناحين كشجرتي بلّوطٍ تحفّان

ولا حتى
كدَرْدائيلَ
المنافحِ والقبالي[18]

شَمْخَائيلُ شَمْخَائيلُ
-يُدَمْدِمُ الملائكة
لماذا أنتَ لستَ كاملا

رسامو بيزنطة
حينما يرسمون السبعة
يستنسخون شمخائيلَ
شبيها بالبقية

لهذا أعتقدُ
أنهم سيقعون في الهرطقة
فيما لو رسموه
كما هو
أسودَ وعصبيا
في هالةٍ قديمةٍ بالية

18 القبالة (الكوبالة والقوبالة)- كلمة عبرية تعني الاهتمام بالأمور والأسرار الباطنية، وهي في النهاية فلسفة تهتم بتفسير العلاقة ما بين السرمدية الإلهية ولا سرمدية الكون (المترجم).

عن ترجمة الشعر

O tłumaczeniu wierszy

حَطّ كالنحلة الطنّانةِ الخرقاء
على الزهرة
حتى انثنى السويقُ النحيل
يتقدم عبرَ صفوف الرقائق
الشبيهة بصفحات القاموس
إلى الداخل يسعى
حيث العطرُ والحلاوة
ورغم رَشَحِهِ
وانعدامِ شَهيّتِهِ
إلا أنه يسعى
حتى يضربَ رأسَهُ
بالعمودِ الأصفر

وهنا تكمن النهاية
لأنه من الصعب الولوجُ
عبرَ كأس الزهور
إلى الجذور

لذا فالنحلة الطنّانةُ تخرج
مزهوةً جدا
تطنّ بصوتٍ جهوريّ:
كنتُ في الداخل
أما أولئك
الذين لا يُصَدّقونها تماما
فتريهم أنْفَها
مُلَطّخَا بالطلعِ الأصفر

الأذُنُ الورديّة

Różowe ucho

اعتقدتُ
أنني أعرفها جيدا
سنوات طويلة نعيشُ معا

أعرف
رأس الطير
الكتفين الأبيضين
والبطن

حتى أنها ذات مرة
في مساء شتائي
جلسَتْ إلى جانبي
وفي ضوء المصباح
الساقط خلفي
لمحتُ الأذن الوردية

بَتَلةُ الجلد مضحكة
صدفةٌ بدم حيّ
في الداخل
حينئذ لم أقل شيئا-

كان من الأفضل لو كتبتُ
قصيدةً عن الأذن الوردية
لكن ليس هكذا لكي يقولوا
أهَا لقد اختارَ موضوعا
إنه يتظاهرُ بالأصالة

لكي لا يضحك أحد
لكي يفهموا بأنني
أعلنُ سرّا

حينئذ لم أقلْ شيئا
لكنني في الليل حينما استلقينا معا
جرّبتُ بلطفٍ
المذاقَ الغريب
للأذن الوردية

حادثة

Epizod

نسيرُ على ساحل البحر
يدا بيد مُمسكينِ
نهايتان اثنتان لحوار قديم
- أتُحبّني
- أحبكِ

بحاجبينِ مُقطبين
أوجز بوصيّتينِ
الحكمةَ كاملةً
لعلماء الفلك الأنبياء
الفلاسفةِ من الحدائق
والفلاسفةِ من الأديرة

وهذا تقريبا يعني كالآتي:
- لا تبكِ
- كوني شجاعة
- أُنظُري الناسُ كلّهم حولنا

تزمّينَ شفتيكِ ثم تقولين
- عليكَ أن تكونَ واعظا-

وزَعْلانةً تبتعدينَ
الأخلاقيون غير مَحْبوبين

حريرُ الروح

Jedwab duszy

٥

أبدا
لم أتحدّثْ معها
لا عن الحبِّ
ولا عن الموت

فقط الذوقُ الأعمى
واللمسُ الأبكم
دارا بيننا
عندما كنّا منهمكينِ بنفسينا
استلقينا جنبَ بعضنا

يجبُ
أنْ أغور فيها
وأعرف ماذا تحمل
في الداخل

لو أنها نامتْ
بفم مفتوح
لتطلّعْتُ

وماذا
وماذا
ماذا تعتقدون
قد رأيتُ

توقعتُ
غصنا
توقّعتُ
طيرا
توقّعتُ
منزلا
عند ماءٍ غزيرٍ وهادئ

لكنني هناك
على اللوحة الزجاجية
رأيتُ بضعة
جوارب حريرية

يا إلهي
سأشتري لها
هذه الجوارب
سأشتري

لكن ماذا سيظهرُ بعدُ
على لوحة الروح
الزجاجية الصغيرة

هل سيكون شيئا
لا يمكنُ لمسُهُ
حتى بإصبع الحلمِ الواحد

نشيدُ الطبل

Pieśń o bębnie

انفضّتِ المزاميرُ الرعويّة،
ذهبُ أبواق الآحاد،
الأصداءُ الخضراءُ الأبواقُ
والكمنجاتُ أيضا رَحلتْ-

لم يبق سوى الطبل
والطبل ما زال يعزف لنا
لحنَ العيد لحنَ الحزن
المشاعرُ البسيطة تنثال بتؤدة
الطبّالُ يعزف على الأرجل المتصلبة
وفكرة واحدة، كلمة واحدة
حينما يستدعي الطبلُ مُنْحَدرَ الهاوية

نحمل المناجلَ بله الشواهد
بماذا سيتكهن الطبلُ الحكيم لنا
عندما يضرب الخطوُ جلْدَ الأرصفة

هذا الخطو المهيب الذي يقلب العالم
إلى مسيرة وصرخةٍ واحدة

وأخيرا تمضي الجموع كلّها
وأخيرا لكلّ واحد خطوته
الجلد العجليّ والنقارتان
حطّمت الأبراجَ والكآبة
سُحقَ الصمتُ
فالموت ليس مرعبا إنْ كان جماعيا

عمود البارود فوق المسيرة
ينشعب البحرُ المطيع
نهبط أسفل للجِّ
للجحيم الفارغ ثم إلى الأعلى
نتفقد وهم السماء
والمسيرة المُحرّرَةُ من الرّعب
تتحوّل إلى رمل تذروه ريح ساخرة

وهكذا يمرُّ الصدى الأخير
خللَ عفنِ الأرضِ الفطريّ
لم يبقَ سوى الطبل الطبل
دكتاتور الموسيقى الماحقة

قصائد نثر

Proza poetycka

الكمان

Skrzypce

الكمانُ عارٍ له كتفان نحيفان. يُريدُ أن يَسْتُرَهما بدون براعة. يبكي من الحياء والبرد. هذا هو السبب. وليس كما يظن نقّادُ الموسيقى، لكي يكون أحلى. هذا غير صحيح.

السكارى

Pijacy

السكارى هم الناسُ الذين يشربون حتى الثمالة وبجرعة واحدة. لكنهم يمتعضون لأنهم يرون في القاع أنفسهم مرة أخرى. عبرَ رقبة الزجاجة يبصرون العوالمَ البعيدة. لو كان لديهم رأسٌ قويّ وذوق أكثر لكانوا علماءَ فلك.

الأشياء

Przedmioty

الأشياء الميتة هي حسنة دائما ولا يمكن، للأسف
قدْحُها. لم يَتَسَنَّ لي أبدا أن أرى كرسيا يضعُ
ساقا على ساق، ولا سريرا منتصبا. وكذا الطاولات
حتى حينما تكون مُجهَدَةً فهي لا تجرؤُ أن تحني ركبتها.
أظنّ أن الأشياء تفعل ذلك لاعتبارات تربوية، كي تُذَكّرَنا
باستمرار بعدم ثباتنا.

بلاد

Kraj

في زاوية هذه الخريطة القديمة نفسها ثمة بلاد، إليها أحنُّ.
إنها موطنُ التفاحِ، التلالِ، الأنهار الكسولة، النبيذ اللاذعِ
والحبّ. للأسف، العنكبوتُ الكبيرُ حاك حولها شبكته وبلعاب
لزقٍ سدّ حواجرَ الحلم.
هكذا هو دائما: ملاك بسيف ناريّ، عنكبوت، وضمير.

قِطّ

Kot

هو أسود تماما، لكنْ له ذيل كهربائي. عندما ينام في الشمس
لا شيء يمكن تصوره أكثرَ اسودادا منه. حتى في الحلم ترتعش
أوْصَالُ الفأر. نعرف ذلك من مخالبه الناتئة من القوائم.
إنه لطيفٌ وسيّء جدا. يقلعُ الطيورَ الصغيرة
من الأشجار قبل نضجها.

الأقزام

Krasnoludki

الأقزامُ تنمو في الغابة. عندها رائحةٌ خاصة ولحى بيضاء. تخرج على انفراد. لو أمكنَ جمعُ حفنةٍ منها، تجفيفها وتعليقها على الأبواب- ربّما لصار عندنا هدوء.

البئر

Studnia

البئرُ تقع في وسط البنايات القديمة، وسط الحَمَامِ والأبراج.
ينبض نبع في العروق الباردة للبطانة الاسمنتية. ينبض بقلقٍ كما
لو أنه بعد لحظة سيجمدُ.
في الأعلى نُحِتَ نومُ كلبٍ حجري. الرأسُ من الحجر
الرملي يستلقي بين الأرجل. ينامُ عميقا. لا تهمهُ أبدا نهايةُ العالم.

جنةُ اللاهوتيين

Raj teologów

طُرُقٌ، طُرُقٌ طويلةٌ، مزروعة بأشجارٍ مقصوصةٍ بعناية
كما في متنزّهٍ إنكليزي. أحيانا يمرُّ بها الملاكُ. شَعْرُهُ
مُصَفّفٌ، جناحاه يهدران باللاتينية. يحمل بيده أداة أنيقةً
تُسمّى قياسَ المنطق. يسيرُ سريعا، لا يُحرّكُ هواءً
ولا رملا. يجتازُ بصمتٍ رموزًا حجريةً للعفّةِ، نقيّةً للقيمة،
أفكارا للأشياء وأمورا أخرى لا يمكن تصوّرها بتاتا.
لا يختفي عن الأنظار قَطْعًا، لأنه لا يملكُ هنا آفاقا. الأوركستراتُ
والجوقاتُ صامتة، لكن الموسيقى حاضرة. المكانُ فارغٌ.
الفقهاءُ يتكلمون باسْتفاضةٍ. وهذا يمكنه أن يكون دليلا.

الموتى

Umarli

نظرا لإغلاقِهم في أماكن معتمة بلا تهوية
صارَتْ وجوهُهم مُشوّهةً تماما. بودّهم جدا
أنْ يتكلموا لكنّ الرّمل أكلَ الشفاه. فقط أحيانا
يقبضون بالأكف الهواءَ يُحاولون رفع رؤوسهم بشكلٍ
أخرق كالرضيع. لا يُفْرِحُهم شيءٌ لا الأقحوانُ ولا
الشموعُ. لا يستطيعون أن يتقبّلوا هذا الوضعَ،
الوضع الراهن.

الملائكة السبعة

Siedmiu aniołów

كلَّ صباح يأتي سبعةُ ملائكة. يدخلون بدون طرْقٍ.
يُخْرِجُ أحدُهم بحركة مفاجئة قلبي من الصدر. يضعه
في فمه. يفعل الباقون الشيءَ نفسه. حينئذ تذوي أجنحتهم
ووجوههم تتحول من اللون الفضي إلى البنفسجي. وهم يغادرون
يتضاربون بالقباقيب. يتركون القلبَ على الكرسي كقِدْرٍ فارغ.
ينبغي ملؤه طوال اليوم كي لا يغادر الملائكة عند الصباح
فضيين ومُجنحين.

القراصنة

Piraci

القراصنةُ يلعبون بالبولينج. لحظتئذٍ السماء حمراء.
تماما. عندما يترنح الملكُ مُخْتَرَقًا بالكرة، تلوحُ في الأفق
بواخرُ بيضاء. تُسْمَعُ ضحكةٌ رائعةٌ ورعد.

جدّي

Dziadek

كان خيّرا. أحبَّ طيورَ الكناري، الأطفالَ والقُدّاسات الطويلة.
كان يأكل سكّريات الخطمي. الكلُّ قالوا: للجدّ قلبٌ من ذهب.
حتى غشي الضبابُ هذا القلبَ مرةً. ماتَ الجدُّ. هجرَ الجسدَ المهموم
وصارَ شبحا.

في الطريق إلى دلفي

W drodze do Delf

كان ذلك في الطريق إلى دلفي. للتوّ اجتزتُ الصخرة الحمراءَ، وإذا بأبولّو يظهر من الجهة المقابلة. سارَ بسرعةٍ دون أنْ يُعيرَ أهمية لشيء. عندما اقترب، لاحظته يلعب برأس ميدوزا كان منكمشا ويابسا بسبب الشيخوخة. تمتمَ بشيء. إذا كنتُ سمعته جيدا، كان يكرّر: "المُؤدّي الساحرُ يجبُ أن يَسْبِرَ غوْرَ القسوة".

الكلاسيكي

Klasyk

أذُنٌ خشبية هائلة محشوة بالقطن وبثرثرات شِيشْرون19 .
هو بارع الأسلوب- الكلّ يقولون ذلك. لا أحد يكتب اليوم مثل هذه الجمل الطويلة. يا لها من معرفةٍ هائلة. يمكنه أن يقرأ حتى ما في الحجر. لكنه لا يُخَمّنُ أنّ أوردةَ المرمرِ في أحواض ديوكلتيانوس20 هي أوعية مشقّقة تحملُ دماءَ العبيدِ من مقالع الصخور.

19 ماركوس تشيتشرو أو شيشرون (-106 43 ق.م) كاتب وسياسي وخطيب مُفوّه وكاهن في روما، يعتبر مرجعا للكلاسيكية اللاتينية (المترجم).

20 ديوكلتيانوس (Diocletianus) أحد قياصرة الرومان، حَكَمَ في الفترة ما بين 284-305 (المترجم).

النسيمُ والوردة

Wiatr i róża

في الحديقة نمتْ وردة. وقعَ النسيمُ 21 في حبّها. كانا تماما
مختلفينِ، هو خفيفٌ وجليّ، وهي – ساكنةٌ وثقيلةٌ كالدم.
جاءَ رجلٌ بقبقابينِ خشبيّينِ ويدينِ خشنتين
وقطفَ الوردة. لحقه النسيمُ لكنه أغلق البابَ في وجهه.
- ليتني تحجّرْتُ- بكى النسيمُ التّعِسُ. – كان يمكنني الطواف
حول العالمِ كلّه، كان من الممكن أنْ لا أعودَ لسنوات طويلة،
لكنني عرفتُ بأنها دائما ستنتظرُ.
النسيمُ فهمَ بأنه إذا أرادَ أنْ يُعانيَ حقا، فعليه أنْ يكون وفيّا

21 الريحُ باللغة البولندية مُذكّر وبالعربية مؤنثة فاضطررتُ للاستعاضة عنها بالنسيم وهو نوع من الريح (المترجم).

الرسّام
Malarz

في أسفلِ جدران بيضاء كغابة من البتولا ينمو سرخسُ اللوحات.
في غمرة زيت التربنتين والزيوت يُعيدُ (ميرون) تكوينَ مأساة الليمونة المحكوم عليها بالتعايش مع القماش الأخضر. هنا يوجد أيضا مشهدُ امرأة.
-خطيبتي-يقول ميرون. – مَثُلَتْ أمَامي في زمن الاحتلال. كان شتاءً بدون خبز وفحم. تطابقَ الدمُ تحت جلدها الأبيض مع البقع الزرقاء. حينئذٍ رسمتُ خلفيةً ورديةً دافئةً.

هَرْميس، الكلبُ والنجمة

Hermes, pies i gwiazda

هرميز22 يسيُر عبر العالم. يلتقي كلبا.

-أنا إلهٌ- يُقَدّمُ هرميزُ نفسَهُ بأدبٍ جمّ.

يتشمّمُ الكلبُ قدميه.

-أُحِسُّ بالوحدةِ. الناسُ يخونون الآلهة. بينما الحيواناتُ غيرُ واعية وليستْ خالدة، وهذا ما نبتغيهِ. مساءً، بعد الرِّحْلةِ اليومية سنجلسُ تحتَ شجرة البلّوط. حينئذ سأخبركَ، أحِسُّ أنني عجوزٌ وأريدُ أنْ أموت. سيكون هذا الكذبُ ضروريا لكي تلحسَ لي اليدين.

-بلى –يردُّ الكلبُ بلا اكتراثٍ- سألحسُ يديك.

إنّهما باردتانِ ولهما رائحةٌ غريبة.

وبينما هما سائران يلتقيانِ بنجمة.

-أنا هرميزُ- يقول الإلهُ-ثمّ يُخْرجُ وجهًا من أجملِ أوجههِ.

ألا تريدينَ أنْ تذهبي معنا حتى نهاية العالم؟ سأحاولُ أنْ يكونَ هناك ما هو أبشعُ لكي تَسْنِدي رأسَكِ مضطرةً على كتفي.

---

22 هرميز- هو ابن الإلهِ زيوس كبير آلهةِ اليونان، وهو رسول الآلهةِ لدى الإغريق وراعي الرّعاة والبحّارة والمسافرين والفصاحة. تخيّلوه شابا بجناحين ونعلين (المترجم).

-حسنا- تقول النجمةُ بصوتٍ شفيف. -لا فرقَ بالنسبة لي أنّي اتجهتُ. أما فيما يتعلقُ بنهاية العالمِ فهذه سذاجةٌ. للأسفِ، لا نهايةَ للعالم.

هم يسيرون، ويسيرون. الكلبُ، وهرميزُ والنجمة. متشابكي الأيدي. هرميزُ يفتكرُ أنه لو انطلقَ مرة ثانية بحثا عن أصدقاء لما كان إلى هذا الحدِّ صريحا.

القيصر

Cesarz

ذاتَ مرةٍ كان هناك قيصر. بعينين صفراوين وفكّ مفترسة.
كان يسكن في قصر حافل بالمرمر والبوليس. وحيدا.
كان يستيقظ في الليل ويصرخ. لا أحدَ كان يُحبّه. كان
أكثرَ ولعا بالصيد والعنفِ. لكنه كان يأخذُ صورا مع
الأطفال وسط الزهور. بعدَ موته لم يجرؤ أحدٌ على
نزع صوره. انظروا، ربّما لا يزال عندكم في البيت قناعه.

الأسماك

Ryby

لا يمكننا أنْ نتصوّرَ حلمَ الأسماك. حتى في أعتم زاوية بِرْكةٍ، وسط القصب، استراحتها سَهَرٌ: هذه الوضعية دائما والعجزُ المطلقُ للقولِ عنها: أراحَتْ رأسَهَا.

وعليه فدموعُها كصرخة في الفراغ- لا تُحْصَى.

الأسماكُ لا تستطيع أنْ تُعَبّرَ عن قُنُوطِها. وهذا ما يُبَرّرُ للمُدْيَةِ العمياء أنْ تصعدَ الظّهرَ سالخةً أصدافَ الحراشف.

حياةُ محارب

Żywot wojownika

وقف على عتبة الغرفة في المكان الذي استلقى فيه والده الميت،
ملفوفا كدودة القزّ بسكونٍ شمعي- وصرخ. ومن هنا بدأ.
تشبّثَ بالصخبِ وتسلّق عليه للأعلى، لأنه عرف بأنّ السكون
يعني الموت. إيقاعُ الأحذية المُنَعّلة، وقعُ الحوافر على الجسر-
شراويل الجنود الزرقاء. دويُّ الطبول والفرسانُ يصعدون
في غيمة من الدخان- سيفُ الضابط الفضّي. هديرُ المدافع،
الأرضُ تئنُّ كالطبل- قبعةُ المارشال المثلّثة..
إذنْ بعدَ موته أرادَ الجنودُ المخلصون أنْ يصعدَ على سُلّمِ
الصخبِ للسماء. مائة ناقوسٍ هزّت المدينة. وفي لحظةِ اقترابها
من السماء أطلقَ المدفعيون القذائف. لكنهم لم يستطيعوا
من حفرِ الزرقة الصلبة بالقدر المناسبِ للمارشالِ
كاملا مع سيفه وقبّعته المثلثة الأضلاع.
الآن مرة أخرى انفصلَ ثم سقط على أديم الأرض. الجنودُ المخلصون
يقومون برفعه ومرة أخرى يُطلقون العياراتِ في الهواء

المنتحر

Samobójca

كانَ مَسْرحيّا. وقفَ أمامَ المرآة في ثياب سوداء
بزهرة في عروة السترة. وضعَ الآلةَ في فمهِ، وانتظر
حتى تسْخنَ السّبَطانةُ وبذهولٍ وهو يبتسمُ أطلقَ النارَ
على انعكاسه.
سقطَ كمعطفٍ يُرْمَى مِنْ على الكتفين، لكنّ الروحَ أخذتْ
لوقتٍ ما وهي ترُجُّ الرأسَ تخفُّ ثم تخفُّ. وبعدَها وهي تُمَاطلُ
دخلتْ في الجسدِ في أوجِ نزفه في اللحظة التي تسَاوتْ فيها
درجةُ حرارته مع حرارةِ الأشياء وهذا كما هو معروف-
يتكهّنُ بطول العمر.

من تكنولوجيا الدموع

Z technologii łez

في وضع المعرفة الراهن الدموعُ الزائفة فقط يمكنها أنْ تصلحَ للمعالجةِ والانتاج اللاحق. الدموعُ الحقيقية ساخنةٌ ولهذا فمن الصعب جدّا فصلها عن الوجه. تبينَ بعد إيصالها للحالةِ الأخيرة أنها هشةٌ جدا. يحتار التقنيونَ في مشكلة استغلال الدموع الحقيقية.

الدموعُ الزائفة قبل تجميدها تخضعُ لعملية تقطير، ولأنها بطبيعتها غائمةٌ يجري إيصالها إلى حالة تكاد فيها نظرا للنقاء أن لا تقلّ شأنا عن الدموع الحقيقية. إنها صلبةٌ جدّا، متينةٌ جدّا وتصلحُ ليس فقط للزينة، وإنما أيضا لتقطيعِ الزجاج.

حلم القيصر

Sen cesarza

شِقٌّ!- يصيحُ القيصرُ في حلمه حتى تهتزَّ فوق رأسه الظُلّةُ من ريش النعام. الجنودُ الذين يمشون حول سريره بسيوفهم المسلولة يعتقدون أن القيصر يحلم بالحصار. الآن للتو لاحظ فتحةً في الجدار ويريدُهم من خلالها أنْ يتسللوا للقلعة.

وفي الحقيقة القيصرُ الآن دودةٌ ألفيةُ الأرجل تجري على الأرضية بحثا عن بقية الطعام. في الوقت نفسه يرى فوق رأسه خُفّا يريد الآنَ الآنَ أنْ يسحقه. القيصرُ يبحث عن شِقٍّ بإمكانه أنْ ينحشرَ فيه. الأرضيةُ ملساءُ وزَلِقة.

نعم. لا شيءَ أكثرَ ابتذالا من أحلام القياصرة.

دراسة الشّيء

Studium przedmiotu

(1961)

صندوقٌ يُدْعَى المُخيّلة

Pudełko zwane wyobraźnią

دُقَّ بإصبعك على الجدار
سيخرجُ
من قطعةِ البلّوط
الوقواقُ

سيستدعي الأشجار
الواحدة تلو الأخرى
حتى تصير
غابة

صَفِّرْ بخفّةٍ-
سيهرع نهرٌ
خيطٌ متينٌ
يربط الجبالَ بالوديان

تَنَحْنَحْ برقّة
هي ذي المدينة

ببرجٍ وحيد
بسورٍ خشنٍ
وبيوتٍ صفراءَ
كمكعّبات النرد

والآن
أغمِضْ العينينِ
سيسقط ثلجٌ
يطفئ
وميضَ الأشجار الأخضر
والبرجَ الأحمر

تحتَ الثلجِ
يوجد ليلٌ
بساعة لامعةٍ في القمّة
بومة مناظر البلاد الطبيعية

خوفنا

Nasz strach

خوفنا
لا يلبس ثوبَ منام
ليس له عينا بومة
لا يرفع جفنا
ولا يُطفئ شمعة

ليس له حتى وجهُ ميّتٍ

خوفنا
قصاصةٌ من ورق
عُثِرَ عليها في الجيب:
"حَذّرْ فويتشيك
بأن المسكنَ في شارع دووغا قد احترق"

خوفنا
لا يعتلي أجنحةَ العاصفة
لا يجلس فوق برج الكنيسة
هو أرضي

له شكلُ صُرّة
شُدّتْ على عَجَل
بملبس دافئ
ومئونة يابسة
وسلاح

خوفنا
ليس له وجهُ ميّت
الموتى لطفاءُ معنا

نحملهم فوق الأكتاف
ننام تحت الدثار نفسه
نُسْبلُ العيون
نُعَدّلُ الأفواه
نختارُ مكانا يابسا
وندفنهم

ليس عميقا جدا
ليس مُسطّحًا جدا

من الميثولوجيا

Z mitologii

في البدء كان إلهُ الليل والعاصفة، تمثالٌ أسودُ بلا عينين، تقافز العراةُ حوله والملطخون بالدم. بعد ذلك في عصور الجمهورية كان كثيرٌ من الآلهة مع زوجاتهم وأطفالهم وأسِرّة تُطقْطقُ وصاعقةٌ تنفجر بسلام. في النهاية كان الخرافيون المنهكو الأعصاب فقط يحملون في جيوبهم تمثالا صغيرا من الملح، مُمَثّلا إلهَ السخرية. آنذاك لم يكنْ هناك إلهٌ أكبر. في ذلك الوقت قدم البرابرة. هم أيضا قَيّموا إلهَ السخرية عاليا. بأَكْعبِهم مَرَدوه وبالأكل خلطوه

عودة البروقنصل[23]

Powrót prokonsula

قَرّرتُ العودةَ لبلاطِ الإمبراطور
سأجَربّ لعلّي سأعيشُ هناكَ مرة أخرى
بإمكاني البقاءُ حيث أنا في مقاطعة بعيدة
تحت أوراقِ الجمّيز المليئةِ بالحلاوة
وحكمٍ سَمْحٍ لمُحَابِينَ مرضى

لا أنوي بعدَ عودتي أنْ أنالَ الاستحقاق
سأهَلّلُ للحصةِ التموينية المقررة
وأبتسمُ للغراماتِ وأقطّبُ الحاجبينِ خِفْيَةً
لن يمنحوني على ذلك ميداليةً ذهبية
ستكفيني الحديدية

قرّرْتُ العودةَ غدا أو بعدَ غد
لا أستطيع العيشَ وسطَ الكرومِ فكلّ شيء هنا ليس لي

23 البروقنصل: هو القنصل الذي مُدّدَتْ خدمَتُهُ في الامبراطورية الرومانية بعد مرور سنة عليها، وعادة ما كانت المقاطعاتُ تُدار من قبل البروقناصلة. دروزس: هو ابن كلاوديوس نيرون إمبراطور روما وأخ للإمبراطور تبريوس. تاتيسيوس(120-55م): أكبر مؤرخي روما، متفوه كبير، سياسي ومحام، تنسم مناصبَ عدة، من بينها أنه كان قنصلا وبروقنصلا في مقاطعة آسيا (المترجم).

الأشجارُ بلا جذور والبيوتُ بلا أساس والمطرُ زجاجيّ
والأزهارُ تفوحُ برائحةِ الشمع
وثمة سَحَابةٌ يابسةٌ تقرعُ السماءَ الفارغة
إذن سأعودُ غدا بعدَ غدٍ على أيةِ حالٍ سأعود

سيكون عليّ أنْ أتلاءمَ مع وجهي
مع شَفَتِي السفلى لكي تكبحَ الاحتقارَ
مع عينيّ لكي تكونا فارغتين تماما
مع حنكي الأرنبي البائسِ
الذي يَهْتَزّ لدى دخولِ قائدِ الحرس

الشيءُ المؤكدُ هو أنني لنْ أنادِمَهُ
وحينما يُقَرّبُ كأسَه منّي سأسبلُ العينين
سأتظاهر بتنظيف أسناني من بقيّة الأكل
القيصرُ يُحبّ التصرفَ الشجاعَ
إلى حدودٍ معينة إلى الحدودِ المعقولةِ المعينة
فهو في واقع الأمر إنسانٌ مثل بقيةِ الناس
وهو مُتْعَبٌ جدا من حِيَلِ السمّ
لا يمكنه الإفراط في الشربِ الشطرنجُ متواصل
الكأسُ اليسرى هي لدروزوس وهو يُرَطّبُ باليمنى شفتيهِ
بعد ذلك يحتسي الماءَ فقط دونَ أنْ يرفعَ عن طاتسيوس ناظريهِ
يخرجُ للحديقةِ ثم يعودُ بعدَ أنْ يحملوا الجسد

قرّرتُ العودةَ لبلاطِ القيصر
يحدوني الأملُ حقا بأنّ الأمور ستترتّب بشكل ما

رثاء فورتينبراس[24]

Tren Fortynbrasa

إلى M.C

الآن بعدَ أنْ أصبحنا وحيدين يمكننا التحدث رَجُلا مع رَجُل
أيها الأمير
ولو أنك الآن تنطرح على السلالم وترى بمقدار ما تراه دودةٌ حزينة
يعني شمسا سوداء بأشعة منكسرة
ما كان بوسعي التفكير أبدا بيديك بدون ضحكة
وهاهما الآن مطروحتان على الحجر كأعشاش مطوّحة
هما عزلاوان هكذا مثلما كانتا وهذا يعني النهاية فعلا
اليدان ممدّدتان على انفراد والسيف على انفراد والرأس على انفراد
ورِجْلا الفارسِ في خُفّينِ ناعمين

24 فورتينبراس (Fortinbras): هو الأمير ابن قائد النرويج الذي هزمه الملكُ الأوّلُ هاملت ملكُ الدانمارك، في مسرحية "هاملت" لويليام شكسبير. جهّز فورتنبراس جيشا لغزو بولندا، وفي نهاية المسرحية حلمَ بإصلاح الدانمارك(المترجم).

سيكون لك تشييع عسكري رغم أنك لم تكن عسكريا
هذا هو الطقس الوحيد الذي أعرفه
لا تراتيل لا شموع سوى فتيلّ ودويّ
يُجَرْجَرُ النعشُ عبَر الأرصفةِ خُوَذٌ وأحذية ذاتُ نعلِ وخيولُ مدفعية
نقرٌ على الطبل، طبل، أعرف لا شيء أجمل من ذلك
هي ذي حيلي قبلَ استلامِ السلطة
ينبغي مسكُ المدينةِ من الرقبة وهزّها قليلا

على أية حال كان عليك أن تهلك يا هاملت لم تكن للحياة
لقد آمنْتَ بأفكارٍ مثالية لا بالطينة الآدمية
عشتَ في انكماش دائمٍ مثلما اصطدتَ الوهمَ في الحلم
عضَضْتَ الهواءَ بشرهٍ فتقيأتَ فورا
لم تكنْ تعرف أيّ شيء بشريّ لم تكنْ تعرفُ حتى التنفسَ

لك الراحةُ الآنَ يا هاملتُ لقد فعلتَ ما عليك
لك الراحةُ والبقيةُ ليستْ صمتا فهي من نصيبي
لقد اخترتَ القسمَ الأسهلَ الطعنةَ المؤثّرة
لكنْ ما قيمةُ الموتِ البطولي إزاءَ الحذر الأبدي
مع تفاحةٍ باردة في الكف على مقعدٍ عالٍ
ومنظرٍ مُطلّ على قفيرِ نملٍ وقرصِ ساعة

وداعا أيها الأمير ينتظرني وضعُ تصميمٍ للمجاري
وتشريعِ قانونٍ للشحّاذينَ والبغايا
كما وعليّ أنْ أفكرّ بنظام أفضلَ للسجون
لأنه كما لاحظتَ بصوابٍ الدانماركُ سجن
سأعرّجُ على شئوني اليومَ ليلا سيولد
النجمُ هاملت لن نلتقي أبدا
وما سيبقى بعدي لنْ يكونَ موضوعا للمأساة

لا ترحيبَ بنا لا وداعَ نعيشُ في الأرخبيلات
وهذا الماءُ هذه الكلماتُ ماذا بوسعها أيها الأمير

محاولةُ وصف

Próba opisu

أصف نفسي مسبقا
مبتدئًا من الرأس
والأفضلُ من الرِّجْلِ
أو من اليدِ
من الخُنْصرِ في اليد اليُسرى

إصبعي الصغيرة
دافئة
متقوسة قليلا في الوسط
تنتهي بأظفر
تتألف من ثلاثة أجزاء
تتشعّبُ مباشرةً من اليدِ
لو كانت منفصلة عنها
لكانت دودةً مُعتبرة
إنها إصبعٌ طريفة
الإصبعُ الصغيرة الوحيدة في العالم من اليد اليسرى
وُهِبَتْ لي مباشرة

الأصابعُ الصغيرةُ الأخرى في اليد اليُسرى
تجريدٌ بارد
أنا وإصبعي
لنا تاريخُ ميلادٍ مشترك
تاريخ موت
عُزْلةٌ مشتركة

الدمُ وحده
يُردّدُ الطُّوطولوجيات[25] الداكنة
شابكا الضفافَ البعيدة
بخيط الوفاق

25 الطوطولوجيا: كلمة إغريقية الأصلن تعني تكرار الكلام نفسه بكلمات مختلفة، يعني الحشو والإطناب (المترجم).

دراسةُ الشيء

Studium przedmiotu

1

أجمل شيء هو الشيءُ
الذي لا يوجدُ

لا يخدم لحمل الماء
ولا لحفظ رفات البطل

لم تحضنه أنتيغونا
ولم يغرق فيه جرذ

لا يملك ثقبا
لأنّه مفتوح كله

يُرَى من كلّ الجهات
يعنى هو بالكاد
محسوس

شَعْرُ
خطوطِه كلّها
تلتمُّ
في تيّار ضوءٍ واحد

لا
التّعْميةُ
ولا الموتُ
يمكنُ أن ينتزعَ الشيء
الذي لا يوجدُ

2
حدّد مكانَ
وقوفِ الشيء
الذي هو غير موجود

حزنٌ رجوليّ
مغلقٌ
بين جدرانٍ أربعة

3

الآن
الفضاءُ كلّه
يموجُ كالمحيط

الإعصارُ يضربُ
الشراعَ الأسود

جناح العاصفة الثلجية يحومُ
فوق المربع الأسود

والجزيرةُ تغرق
تحت الفورةِ الملحيّة

4

لديك الآن
فضاء فارغ
أجمل من الشيء
أجمل من المكان بَعدَه
هذا هو الفجر

جنّةٌ بيضاء
لكلّ الاحتمالات
يمكنك أن تدخلَ هناك
أنْ تصرخَ
عموديا- أفقيا

تضربُ الأفقَ العاري
صاعقةٌ عموديّة

إلى هنا يمكننا التوقّف
ومع ذلك فأنتَ خلقتَ عالما

5

استَمِعْ لنصائح
العين الداخليّة

لا تخضعْ
للهمسات للهمهمات والمضغ

هذا عالم غير مخلوق
يحتشدُ أمام بوّابات اللوحة

الملائكةُ تقترحُ
قطنَ سُحُبٍ ورديّ

الأشجارُ تحشرُ في كلّ مكان
شَعْرا فوضويّا أخضر

الملوكُ يمتدحون الأرجوان
ويأمرون البوّاقينَ
بالتذهيب

حتى الحوتُ يطلبُ بورتريها له

اسْتَمِعْ لنصائح العين الداخليّة
لا تُدْخِلْ أحدا

6

أَخْرِجْ
مِنْ ظلّ الشيء
الذي لا يوجدُ
من الفضاء القطبيّ

من الأحلام الفجّة للعين الداخلية
أخْرِجِ الكرسيّ

جميلٌ هو ودون فائدة
مثل كنيسة في البريّة

ضعْ على الكرسيّ
مَفْرَشا مُتجعّدا
ثم أضفْ إلى فكرة النظام
فكرةَ المغامرة

فليكنْ هذا اعترافَ إيمانٍ
في حضرة العموديّ الذي يُكافحُ الأفقيّ

فليكنْ
أهدأَ من الملائكة
أكثرَ فخرا
من الملوك
أكثرَ حقيقةً من الحوت
فليكنْ له ملامحُ الأشياء النهائية26

26 الأشياء النهائية هي الموت والقيامة جهنم والسماء. ينبغي قراءة هذه القصيدة على ضوء الاطلاع على تاريخ الرسم الأوروبي، وكيفية توظيف الخطوط والأبعاد الهندسية والتجريد (المترجم).

نرجوك أيها الكرسيّ انطقْ:
قعرُ العين الداخلية
قزحيةُ الضرورة
بُؤبُؤُ الموت

الحصاة

Kamyk

الحصاةُ مخلوق
متكامل

متّسقة مع نفسها
مراقبة حدودها

مُمتلئة تماما
بالجوهر الحجري

برائحةٍ لا تُذَكّرُ بأيّ شيء
لا تُخيفُ أيّ شيء لا تُثيرُ طلبا

اتّقادها وبرودتها
صادقتان ومُفْعَمتان بالكرامة

حينما أمسكها بيدي
أحسّ بثقلٍ هائلٍ

ويتسرّبُ دفءٌ زائفٌ
إلى جسْمِها النبيل

- الحصى لا تَسْمحُ بترويضها
ستظل حتى النهاية تنظر فينا
بعين وديعة وصافية للغاية

صوتي الداخلي

Głos wewnętrzny

صوتي الداخلي
لا ينصحُ بشيء
لا يُثبّطُ عن شيء

لا يقولُ سواء نعم
أو لا

يُسْمعُ بالكادِ
ويكادُ لا يُفْصِحُ

حتى لو مال كثيرا
ستُسْمَعُ منه فقط
مقاطعُ بعيدةٌ عن المعنى

أحاول ألّا أشوّشَ عليه
أتعاملُ معه برفق

أتظاهرُ بأنني أتعامل معه على قدم المساواة
وأنه يَهُمّنِي

حتى أنني أحيانا
أحاولُ أنْ أتكلمَ معه
-تعرفُ، أمسِ رفضتُ،
لم أفعلْ ذلك قطُّ
والآن كذلك لا أفعلُ

-غو-غو
-أتَعْتَقدُ
أنني حسنا فعلتُ

-غا-غا-غِي

حسنا لأننا نتفقُ

-ما - آ-

-الآنَ اسْتَرِخْ
وغدا مرةً أخرى سنتحدثُ

لا أحتاجه في أيّ شيء
يمكنني أن أنساه

ليسَ لي أملٌ
فقط قليلٌ من الأسى
عندما هكذا هو ينطرحُ
مُتدثّرا بالشفقة
بصعوبةٍ يتنفسُ
يفتحُ فمه
ويُحاول أنْ يَرْفَعَ
رأسَه العاجز

إلى عظامي

Do moich kości

في النوم يخترقُ
جلديَ الهزيلَ
يرمي بضماد العضلات الأحمر
ويسيرُ في الغرفة
تمثالي الناقصُ قليلا

يمكن أن أجودَ عليه
بالدم والدموع
وما سيبقى منه طويلا هنا
ينبغي تأمينه بحكمة

من الأفضل بدلا من أصابع القسّ اليابسة
والأمطار التي ترشحُ من غيمةِ الرّمل
منحُ تمثالي للأكاديمية

سيضعونه في خزانة زجاجية شفيفة
ويصلّون عليه باللاتينية

أمام المذبحِ مع العظام

سيَعُدّونَ العظامَ والسُّطوحَ
ولنْ يَنسُوا ولنْ يتركوا

سأمنحُ لونَ العينينِ سعيدا،
شكلَ الأظافر وسَيْماءَ الحاجبين
موضوعيٌّ تماما
أنا من بلّوراتِ التشريح البيضاء
علبةٌ للأفكار
قفصٌ للقلب
كدسٌ عظمي
وظُنْبُوبَانِ

أنتَ يا تمثالي الناقص

مسمارٌ في السماء

Gwóźdź w niebie

كانتْ أروعَ زرقةً في حياتي: يابسةً، صلبةً وصافيةً
جدا حتى أنها تحبسُ الأنفاسَ. خرجتْ منها ببطءٍ
ملائكةُ هواءٍ هائلة.
وفجأةً رأيتُ مسمارا، صدئا، منغرزا بشكلٍ منحرف
في السماء. حاولتُ أنْ أتجاهله. عبثا، بزاوية العين
مازلتُ به اصطدمُ.
فما الذي بقي من سمائي؟ زرقةٌ بخُدوش

المكعّب الخشبي

Drewniana kostka

لا يمكن وصف المكعب الخشبي إلا من الخارج. لهذا فنحن محكومون بالجهل الأبديّ حول جوهره. حتى لو شطرناه بسرعةٍ فإن داخلَه سيصيرُ فورا جدارا ويتبعهُ تحوّلُ السرّ كالبرقِ إلى جلد. لهذا، يستحيلُ وضعُ سايكولوجية لكتلةٍ حجرية، لقضيبٍ حديدي، لمكعّب خشبي

اللسان

Język

تجاوزتُ حدودَ الأسنانِ بتهورٍ فبلعتُ لسانَها المُتحرّك.
هو الآن يعيش في داخلي مثل سمكة يابانية صغيرة. يمسّ القلبَ
والحجابَ الحاجزَ كجدرانِ مَرْبَى الأسماك. فيصعد طلعٌ من القاع.
هذه التي جرّدتها من صوتها تحدّق فيّ بعينينِ وسيعتين
بانتظار كلمة.
غير أني لستُ أدري بأيّ لسان عليّ أنْ أحَدّثَها-
أ باللسان المنهوب، أم بذلك الذي يذوب في فمي من
وفرة الخيرِ الغزير

الكراسي

Krzesła

ثمة من تصوّر بأن الرقبة الدافئة ستصير مسندا، والرجلين المتأهبتين للهرب والفرح ستتخشّبانِ في أربع أرجلٍ خشبية مستقيمة. قديما كانت الكراسي رائعة، حيوانات تفترس الأزهار. لكنها بسهولةٍ سمَحتْ بتدجينها والآن هي أحقرُ صنفٍ من ذواتِ القوائم.

لقد فقَدَت العنادَ والشجاعة. إنها صبورة ليس إلا. لم تطأ أحدا ولم تتعرّضْ لأحد. من المؤكد لديها إحساس بأن حياتها مهدورة.

يأسُ الكراسي يلوحُ في صريرها

كتابة

Napis

(1969)

إلى ذكرى أبي

برولوج
Prolog

ذكرى أبي

هو

لِمَنْ أنا أمَثّلُ؟ أ للشبابيكِ الموصَدة
أ للمزاليجِ اللامعةِ بغطرسة
أ لزَمَاخرِ المطرِ – للمزاريبِ الحزينة
للجُرذانِ الراقصةِ وسطَ المزابل

آخرَ طبلٍ قرعته القنابلُ
كان ثمة تشييعٌ بسيط في الفناء
صليبٌ من لوحين وخوذة مثقوبة
ووردة كبيرة في سماء الحرائق

الكورس

يتقلّبُ العجلُ على المِشْواة
ينضج في التنور الخبزُ الأسمرُ
الحرائقُ تخمد. فقط النارُ المباركة خالدةً تبقى.

هو

والكتابة الناتئة على تلك الألواح
والأسماء المقتضبة مثل إطلاقة
و"الغريف" و" الذئب" و"القذيفة" من يتذكر ذلك
الصبغةُ الخمريةُ تذوي في المطر

بعد ذلك كنّا نغسلُ الضماداتِ لسنواتٍ
طويلة. والآن لا أحدَ يبكي
في علبة الكبريت الفارغة
أزرارٌ من معطف جندي تُقَرْقِعُ

الكورس

دَعِ التذكارات. أحرقِ الذكرياتِ وادْخلْ في طمثِ الحياةِ الجديد.
لا شيء سوى الأرض. أرض واحدةٌ وعليها فصولٌ أربعة.

حـروبُ الحـشراتِ – حـروبُ الـنـاس ومـوتٌ سريـعٌ على زهـرةِ العسل.
تنضج الحبوب. يُزْهر السنديانُ. وتنحدر الأنهارُ إلى المحيط من الأعالي.

هو

أسْبحُ في التيار وهم معي
يحملقون في عينيّ بلا كلل
بعنادٍ وكلماتٍ باليةٍ يتهامسون
نحن نأكل خبزَ القنوط المرّ.

ينبغي عليّ أنْ آخذَهمْ لمكانٍ يابس
ثم أسَوّي كومةً كبيرةً من التراب
قبل أنْ يغمرهم الربيعُ بالزهور
ويخدرهم نومٌ أخضرُ قوي.

هي ذي المدينة -

الكورس

ليس هناك مدينة
لقد غارت في التراب

هو

ما تزال تشرق

الكورس

كالعفنِ في الغابة

هو

المكانُ فارغٌ
لكنْ ما تزال تهدرُ الرياحُ فوقه
بعد تلكم الأصوات.

القناةُ التي يجري فيها نَهرٌ عكر
أسَمّيها الفيستولا. من الصعب الاعتراف:
بأنهم لمثل هذا الحبّ ساقونا
وأنهم بمثلِ هذا الوطن طعنونا.

مكان

Miejsce

عُدتُ بعد سنواتٍ إلى هناك
ربما مُتْخما جدا

أردتُ التأكّدَ من هذا المكان

كانت التلالُ أصغرَ
أخاديدُ الخلاصِ
جرتْ بماء بُنّي

العشبُ نفسُه عموما
تعرّفْتُ على حشيشةِ الملائكة[27]

27 حشيشة الملاك أو الملائكة (أنجليكا): نوع من أنواع النبات ذات لون أبيض في الأعم، موطنها الأصلي الصين واليابان وروسيا ولها فوائد طبية أيضا (المترجم).

انكمشَ المنظرُ
بيساطةٍ كانَ طبيعيا
إزاء هذا الكمِّ من الانطباعاتِ
إزاء هذا الكمِّ من الآمال

الطيورُ حلّقتْ
من الأغصان الأدنى
إلى الأغصان الأعلى

إذنْ حتى عندها لم يتمكنْ
من البحث عن تأكيد

استجواب الملاك

Przesułchanie anioła

عندما يقف أمامهم
في ظل الاشتباه
فهو ما يزال كاملا
من مادة الضوء

دَهريّة شَعْرِه
ملمومةٌ في خصلة
البراءة

بعد أوّلِ سؤال
ينتفخ خدّاه دما

دمه تُوزّعه
أدواتٌ واستجواب

بالحديد والقصب
بالنار المنفلتة

تُرْسَمُ حدودُ
جسَدِه

الضربُ على الظهر
يُديم عمودَه الفقريّ
ما بين البِرْكةِ والغيمة

بعدَ عدّة ليال
ينتهي العملُ

حنجرةُ الملاك الجلديّة
عامرةٌ بموافقةٍ لزجة

يا لَجَمال اللحظة
التي يخرُّ فيها على ركبتيه
مُتلبّسا بالذنب
مفعما بالفحوى

يتردّد اللسانُ
بين الأسنان المكسّرة
والاعتراف
يُعلّقونه من قدميه

فتسقط قطراتُ شمع
من شَعْر الملاك
تُشكّلُ فوق الأرضية
نبوءةً بسيطة

تقريرٌ من الجنة

Sprawozdanie z raju

أسبوع العمل في الجنة يستغرق ثلاثين ساعة
الرواتبُ أعلى والأسعارُ تنخفض باستمرار
العملُ العضليّ لا يُتْعِبُ (نتيجة ضَعْفِ الجاذبية)
تقطيعُ الأشجار يُساوي الكتابةَ على الآلة الطابعة
النظامُ الاجتماعيُّ دائمٌ والحكوماتُ عقلانية

في البدء كان على الأمور أن تكونَ مختلفة-
دوائرُ مضيئةٌ جوقاتٌ ومُسْتوياتٌ من التجريد
لكنْ لم يُوَفّقوا بالضبطِ في فصل
الجسدِ عن الروح فجاءَتْ إلى هنا
بقطرةِ دُهْنٍ وخيطِ عضلات
كان ينبغي استخلاص النتائج
وخلط حبّة العقلِ بحبّةِ الطين
ثمة ارتدادٌ واحد وحسب على العقيدة آخرُ ارتداد
فقط يوحنّا مَنْ تنبأ بذلك: تقومون بالجسد

قلّةٌ تَرى اللّهَ
إنه فقط لِمَنْ هُم من الروح النقيّة
أما البقيةُ فتسمعُ بياناتٍ حول المعجزات والطوفان
سيشاهدُ الجميعُ الإلهَ بمرور الوقت
متى سيحدث ذلك لا أحدَ يعرفُ

حاليا في الساعة الثانية عشرة ظهرا
تهدر صفّاراتُ الإنذار بعذوبةٍ
ومن المصانعِ يخرج عمالٌ لازورديون
يحملون تحت آباطِهِمْ بدون براعةٍ أجنحتهم كالكمنجات

بيتُ الشاعر

Dom poety

ذاتَ يومٍ كان هنا نَفَسٌ على الزّجاج، رائحةُ شواء، والوجهُ ذاتُهُ في المرآة. الآن صارَ مُتحفا. أُبيدَتْ نباتاتُ الأرضية، أُفْرِغَت الصناديقُ، ومُلِئت الغرفُ بالشّمْع. فُتِحَت النوافذُ طوالَ الليلِ والنهار. الفئرانُ تتجنبُ هذا البيتَ المليء بالهواء. بعناية فُرِشَ الفراشُ. لكنْ لا أحدَ يريد أن يقضي هنا ولو ليلة واحدة.

بين خزانته، سريره والطاولة- حدودُ غيابٍ بيضاء، صارمةٌ، مثل سبيكةِ يد

بلا رابط

Brak węzła

تفتحُ كليتيمنيسترا[28] النافذة، تتطلّع في المرآة، كي تضعَ
قبّعتها الجديدة. أجاممنون يوجد في الرّدهة، يُولّعُ سيجارته،
وهو ينتظرُ زوجته. وقتها يجتازُ إيجيستوس البوّابة لكنه لا
يعرفُ
أنّ أجاممنونَ قد عادَ أمسِ في الليل. يلتقيان على السلالم.
كليتيمنيسترا تقترحُ عليه أنْ يذهبا إلى المسرح. ومنذ ذلك الوقت
سيذهبانِ معا ومرارا.
أليكترا تعمل في الجمعية التعاونية. وأوريستيس يدرسُ
الصيدلة.
وعمّا قريب سيتزوّجُ زميلته اللامبالية ذاتَ البشرة الشاحبة
والعينين الدامعتين دائما

28 كليتيمنيسترا- زوجة أجاممنون وملكة ماسيني في الأسطورة الإغريقية. وأجاممنون- شقيق مينلاوس ملك أسبرطة وقائد حملتها العسكرية ضد طروادة. إيجيستوس- كان عشيقا لكليتيمنيسترا التي قتلتْ زوجَها بعد عودته من حرب طروادة. أوريستيس-ابن أجاممنون وكليتيمنيسترا وهو شخصية تتسم بالنقاء والجنون إلى حد ما. إليكترا- ابنة أجاممنون وكليتيمنيسترا، اتفقتْ مع اخيها أوريستيس على قتل أمهما كليتيمنيسترا بسبب قتلها زوجها (المترجم).

لماذا الكلاسيكيون

Dlaczego klasycy

إلى A.H

1

في السِّفْر الرابع من كتابه حول حرب المدن
يُحدثنا توسيديدس عن حملته الفاشلة[29]

وسط الخُطَبِ الطنانة لقادةِ
المعارك والحصاراتِ والأوبئة
وشبكةِ المؤامرات الكثيفة
والحيلِ الديبلوماسية
تبدو هذه الحادثةُ بمثابة
دَبّوس في غابة

29 حرب البلوبونيز: جرت بين الأثينيين والإسبارطيين قبل الميلاد، واتحاد البلوبونيز هو اتحاد المدن بقيادة سبارطة. ثوسيديدس: مؤرخ يوناني شهير مؤلف كتاب "تاريخ الحرب البلوبونيزية" عاش قبل الميلاد وكان رجلا ستراتيجيا في جزيرة تازوس في العام 424 لكنه لم يفلح في الدفاع عن مستعمرة أمفيبولوس الأثينية أمام الاسبارطيين، فاختار عقوبة النفي الطوعي لنفسه جراء ذاك لمدة عشرين عاما. - برازيداس: قائد عسكري إسبارطي كبير من القرن الخامس ق.م، قتل في حرب المدن التي ربحها الإسبارطيون. نشرت هذه القصيدة في العام 1966 (المترجم).

لقد سَقَطتْ مستعمرةُ أمفيس
الأثينية بأيدي بريزايدوس
لأنّ توسيديدس تأخّرَ في فكّ الحصار

فدفع لمدينته لقاءَ ذلك ثمنا باهظا
تمثّلَ بالنفي حتى الموت

منفيّو كلّ العصور
يعرفون مثل هذا الثمن

2
جنرالاتُ الحروب الأخيرة
لو حدَثتْ فضيحةٌ مماثلة
تراهم يئنون أمامَ ذريّتهم مُقرفصين
مفتخرين ببطولاتهم
وبَرَاءتهم
مُتّهمينَ أتباعَهم
وزُمَلاءَهم الحاسدين
والرياحَ غير المواتية

يقول توسيديدس كان
لديه سبعُ بوارجَ ليس إلا

والفصلُ شتاء
وقد أبحرَ سريعا

3
عندما يكون الإبريقُ المُهشّم
موضوعَ الفنّ
فإنّ الروحَ الصغيرةَ المنكسرة
سيكون حزنها على نفسها أعظم

وهذا الذي سيبقى بعدنا
سيكون كبكاء عاشقين
في فندق صغير وقذر
عند انكشاف ورق الجدران

الذي يأتي

Co będzie

ماذا سيحصل
لو سقطت
اليدان من القصيدة

عندما سأشربُ في جبال أخرى
ماء جافّا

بالأحرى على ذلك أن يكون محايدا
لكنه ليس كذلك

ما الذي سيحصل للقصائد
حينما يغيبُ النّفَسُ
وتُرْفَضُ
نِعْمَةُ الصوت

هل سأهجرُ الطاولة
وأهبطُ للوادي
حيثُ تلَعْلِعُ
ضحكةٌ جديدة
أسفَلَ غابةٍ داكنة

السيّد كوجيتو

Pan Cogito

(1974)

السيد كوجيتو يراقب وجهه في المرآة

Pan Cogito obserwuje w lustrze swoją twarz

مَنْ كَتَبَ وُجُوهَنا بالتأكيد هو الجدري
وقد علّمَ "جيمَه" بقلمِ الخطّ
أما أنا فَمِمّنْ أخذتُ حنكا مضاعفا
من أيّ نَهِمٍ، وروحي بكاملها
كانتْ تشتاق إلى الزّهدِ، لِمَ عيناي
متقاربتان هكذا بينما هو ولستُ أنا
مَنْ رَصَدَ وسط الأدغال غزوةَ الوونديين[30]
لِمَ أذناي أكثر نتوءا، محارتان من الجلد
من المؤكد أنهما من تركة الجرذ البدائي الذي كان يصطاد
صدى وقع الماموثات المدمدم عبر البراري

الجبينُ ليس عاليا كثيرا قليلٌ من الفكر
- النساء الذهب الأرض تمنع فقدان التوازن-
فكّرَ الأميرُ نيابة عنهم وهذا ما حملته الرياحُ عبرَ الطرقات

30 الوونديون- قوم من أصول سلافية كانوا يعيشون في الفترة ما بين القرنين الأول والرابع الميلادي بمحاذاة بحر البلطيق (المترجم).

شققوا الجدرانَ بالأصابعِ وفجأةً بصرخةٍ عارمة
سقطوا في الفراغِ كي يعودوا داخلي

ألم أشترِ في صالوناتِ الفنِ
المساحيقَ الخلطاتِ المراهمَ
وأحمرَ الشفاهِ بغرض الهيبةِ
قرّبتُ عينيّ من مرمر وخضرةِ فيرونيز[31]
مسحتُ أذنيّ بموتسارتَ
هذّبتُ منخري بعطر الكتب القديمة

وكذا الوجهَ الموروثَ أمام المرآة:
كيس تتخمر فيه اللحومُ العتيقة،
الشهواتُ وخطايا القرون الوسطى،
الجوعُ المتحجرُ والرعبُ

تسقط التفاحةُ قربَ شجرة التفاح[32]
الجسدُ مسمّرٌ في سلسلة الأجناسِ

هكذا خسرتُ السباقَ مع الوجهِ

---

31 باولو فيرونز- (1528-1588)، رسام إيطالي، استقرّ في مدينة البندقية وكان يستعمل لونا أخضر متميزا أطلق عليه خضرة (Veronese). شقّ الطريق نحو فنّ الباروك، بأعماله ذات الخلفية المعمارية (المترجم).

32 المقصود هنا: هذا الشبل من هذا الأسد. وبمعنى، كلّ واحد منّا مقيّد بأسلافه وراثيا (المترجم).

حول رِجْلَي السيّد كوجيتو

O dwu nogach Pana Cogito

الرِّجْلُ اليُمنى طبيعية
ولقُلتَ متفائلة
قصيرةٌ قليلا
وفَتيّة
العضلاتُ منفرجة
لها ربلةُ ساقٍ مُشَكلةٌ جيدا

اليُمنى
اِرْحَمْ يا ربّ-
نحيفةٌ
فيها ندبتان
إحداهما على امتداد وتر العرقوب
والأخرى بيضويةٌ
ورديةٌ باهتة
تذكار هروب مشين

اليُسْرى
مستعدّة للوثب
راقصةٌ
تُحبّ الحياة كثيرا
حَدّ أنْ تنفضح

اليُمنى
مُتصَلبةٌ بنبلٍ
تسخر من الخطر

هذا هو
على رِجْلين
اليُسرى يمكن أن نقارنها بسانشو بانثا
واليُمْنَى
تُذكّرُنا بالفارس الهائم
يسيرُ
السيد كوجيتو
عبْرَ العالم
وهو يَعْرج قليلا

السيد كوجيتو يُفكّر في العودة إلى مدينته الأم

Pan Cogito myśli o powrocie do rodzinnego miasta

لو عدتُ إلى هناك
من المؤكد أنّي لنْ أجدَ
أيَّ ظلٍّ لبيتي
ولا لأشجار الطفولة
ولا الصليب ذا اللوح الحديدي
ولا المصطبة
التي كنتُ همستُ عليها التعازيمَ
الكستناءات والدم
ولا حتى أيّ شيء من أشيائنا

كلُّ الذي قد نَجَا
هو لوحٌ حجريّ
ذو دائرة بيضاء
أقف في المنتصف
على رجل واحدة
قبل لحظة من الوثبِ

لا يمكنني أنْ أكبرَ
رغم مرور السنوات
وفي الأعلى تهدرُ
الكواكبُ والحروبُ

أقفُ في المنتصف
ساكنا كالتمثال
على رِجْل واحدة
قبل الوثب إلى النهائية

الدائرة الطباشيرية تحمَرُّ
كدَمٍ قديم
ينمو حولها ركامُ
رَمادٍ
إلى الكتفين
حتى الفمِ

السيد كوجيتو يتأمّلُ في المعاناة

Pan Cogito rozmyśla o cierpieniu

كلّ محاولات إبْعادِ
ما يُسَمّى بكأس المرارة-
عبرَ التأمل
عبرَ عملٍ مسحورٍ من أجل القطط الشريدة
عبر تنفّس الصعداء
عبرَ الدّينِ-
باءتْ بالفشل

لا بدّ من الموافقة
من إحناء الرأس برفقٍ
وعدم ثنْي اليدِ
باستخدام الصبر على نحوٍ لطيف
كما تستعمل طقمَ الأسنان
بدون أدنى خجلٍ
ولكن أيضا بدون كبرياء

لا تُلوّحْ بالكعب
فوق رؤوس الآخرين
لا تنقرْ بالعصا البيضاء[33]
نوافذَ المُتخمين

اشربْ نقيعَ الأعشاب المرّة
لكنْ ليس حتى الثمالة
احتفظْ بحرصٍ
ببعض الرشفات للمستقبل

تَقبّلْ
ولكنْ في الوقت ذاته
جَزّيء في داخلك
وإذا أمكن ذلك
فاخْلقْ من مادة المعاناة
شيئا أو شخصا

33 العصا البيضاء- هي رمز للعمى في أميركا وأوروبا، منذ مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، وعلى العميان في بولندا أن يتحركوا مروريا بها لأنها مرئية أكثر (المترجم).

أنْ تلعب
معه
بالطبع
تلعبُ

اِلْعَبْ معه
بحذرٍ شديد
كما تلعب مع طفل مريض
مُنتزعا منه في النهاية
بحيل غبيّة
ابتسامة
باهتة

هاوية السيد كوجيتو

Przepaść Pana Cogito

في البيتِ أكثرُ أمانا دائما

لكنْ بعدَ العتبة مباشرةً
حينما يخرج السيّد كوجيتو صباحا
للنزهة
يُواجهُ – الهاوية

إنها ليستْ بهاويةِ باسكال
ولا هي بهاويةِ دوستويفسكي
إنّما هي هاويةٌ
بحجمِ السيدِ كوجيتو

أيّامٌ بلا قرار
أيّامٌ تُثيرُ الذّعر

تتبعه كالظلّ
تتوقّفُ عند المَخبزة

وفي المُتنزّه من خلف أكتاف السيد كوجيتو
تُطالع معه الجريدة.

مُرْهِقةٌ كالطفحِ الجلديّ
وفيّةٌ كالكلب
لولا تَسَطُّحُها
لاسْتَحْوَذَتْ على الرأس واليدين والقدمين

ذاتَ يوم
ربّما ستكبرُ الهاوية
الهاويةُ قد تبلغُ
وتصيرُ راشدة

ليته يعرف
أيّ ماءٍ هي تشرب
وأيّ بُذورٍ تأكل

الآن
بإمْكانِ السيد كوجيتو
أنْ يجمعَ
عدةَ حفناتٍ من الرّمل

وينثرَها
لكنه لا يفعل ذلك

لهذا حينما
يعودُ إلى البيت
يترك الهاوية
خارجَ العتبة
مُدَثّرا إيّاها
بقطعةِ قماشٍ بالية

السيد كوجيتو والفكر الصافي

Pan Cogito a myśl czysta

يحاولُ السيدُ كوجيتو
أن يَبْلُغَ الفكرَ الصافي
قبل النوم

إلا أنّ الجهدَ وحده
يحملُ جنينَ الهزيمة

إذًا فحينما يصل
إلى حالةِ أنّ الفكر كالماء
ماء عظيم ونقيّ
مهما كانت ضفّته

فجأةً يتغضّنُ الماءُ
وتحملُ الموجةُ
عُلَبًا من الصفيح
خشبا
ثم خصلةَ شعرٍ ما

قال السيد كوجيتو الحقيقة
إنه ليس بدون ذنب
لم يكنْ بوسعه أنْ يَحْرِفَ
عينَه الداخلية
عن صندوق الرسائل
كانت رائحةُ البحر في منخريه
الجداجدُ دَغْدَغتْ أذنه
وأحسّ تحت ضلعه بأصابع الغائبة

كان عاديا كالآخرين
الأفكارُ مؤثثة
جِلدُ اليدِ على مقبض الكرسي
أخدودُ مشاعر
على الخدّ

ذاتَ وقتٍ
ذاتَ وقت فيما بعدُ
عندما يهدأ
سيبلغُ حالة ساتوري[34]

سيكونُ كما ينصحُ العارفون
فارغا و
مدهشا

34 ساتوري- حالة من التحرر والتنوير الروحي في فلسفة زن البوذية (المترجم).

السيد كوجيتو يقرأ الجريدة

Pan Cogito czyta gazetę

في الصفحة الأولى
خبرٌ عن مصرع 120 جنديا

الحربُ دامتْ طويلا
يمكن التعوّد عليها

وإلى جانبه ثمة تقريرٌ
عن جريمة مثيرة .
مرفقة بصورة الجاني

عينُ السيد كوجيتو
تتحرّكُ بحيادية
على القرابين الجنود[35]
كي تتعّمقَ بشغفٍ
في الرَّوعِ اليومي

35 وظّف الشاعر كلمة "هَكَاتومبا" في نصّه وهي إشارة إلى عدد الأضاحي التي كانت تقدم 100(ثور) إلى زيوس"أب الآلهة والبشر" في الميثولوجيا الإغريقية، وجرى فيما بعد تعميمها لكثرة القرابين، وسُمّي ذلك بالإغريقية"hekatombaion" (المترجم).

عاملٌ ثلاثينيّ
بتأثير الكآبة
قتلَ زوجتَهُ
وطفليه الصغيرين

تمَّ بدقّةٍ عرضُ
سَيْرِ الجريمة
موضعِ الأجساد
وتفاصيلَ أخرى

120 قتيلا
البحثُ في الخريطة بلا جدوى
المسافة كبيرةٌ للغاية
إنّها تسترهم كالغابة

لا يتحدّثون إلى المخيلة
عددُهم كبير جدا
الأصفار في النهاية
تُحوّلهم إلى تجريد

موضوعٌ للتأمل:
علمُ حسابِ الشفقة

السيدُ كوجيتو وحركة الفكر

Pan Cogito a ruch myśli

الأفكار تتجوّل في الرأس
يقول التعبير العامّي

التعبيرُ العامّي
يُقَيّمُ الأفكار

أغلبُها
يقفُ بلا حركة
في منتصف مناظر البلاد المُمِلّة
وسط هضاب رمادية
وأشجار يابسة

أحيانا تأتي
إلى النهر المتدفّقِ أفكارٌ
تقف عند الضفة

على رِجْل واحدة
كطيور بَلشونٍ جائعة[36]

تستذكر المنابعَ المُجْدِبَة
بحزن
تدورُ
بحثا عن البذور
لا تسيرُ
لأنها لنْ تصل

لا تسيرُ
لأنه لا يوجد إلى أين

تجلس على الحجر
قانطة

تحت الغائمةِ
الخفيضة
تحت سماءِ
الجمجمة

36 طائر البلشون هو مالك الحزين، يردُ بالجمع لدى هربرت حيث المشبّه جمع والمشبّه به كذلك (المترجم).

اغترابات السيد كوجيتو

Alienacje Pana Cogito

السيدُ كوجيتو يَضعُ بين ذراعيهِ
قارورة رأسه الدافئة

بقيّةُ الجسدِ مستورةٌ
يراها اللمْسُ فَحَسْب

يتمعّنُ في الرأس النائمة
غريبة لكنها مملوءةٌ بالحنان

مرة أخرى
يُؤكدُ بانْذهال
أنه ثمة مَنْ يوجد خارجه
غيرُ مُخْتَرَق
كالحجر

ذو حدود
تنفتحُ

لبرهةٍ واحدة فقط
بعدها يلفظه البحرُ
على الجرف الصخري

يفكر بدمه
حلمه الغريب
متسلحا بجلده

السيدُ كوجيتو يُبعدُ
الرأسَ النائمَ
بلطفٍ
كي لا يترك
فوق الخدّ
بصماتِ الأصابع

ثم يغادرُ
وحيدا
في كِلْسِ الشرشفِ

السيدُ كوجيتو يراقبُ صديقا ميّتا

Pan Cogito obserwuje zmarłego przyjaciela

كان يتنفس بصعوبة

كان على الأزمةِ أنْ تأتي ليلا
كانت الساعةُ الثانيةَ عشرةَ ظهرا
عندما خرج السيدُ كوجيتو إلى الممرِّ
كي يُدَخّنَ سيجارة

عَدّلَ قبل ذلك وسادتَهُ
وابتسمَ لصديقه

الذي يتنفّسُ بصعوبة

تحرّكتْ
أصابعُهُ
على اللحافِ

حينما عادَ
لم يَجدْ صديقَهُ
كان في مكانه
يستلقي شيءٌ آخر
برأسٍ منحرفٍ
وعينين جاحظتين

صخبٌ طبيعيٌّ
هرعَ الطبيبُ
حقَنَه بإبرةٍ
امتلأتْ
بدمٍ داكن

انتظرَ السيّدُ كوجيتو
لحظةً أخرى
وتطلّع في ما تبقّى

كان هو فارغا
مثل كيسٍ
يتقلّصُ
لحظةً بعد أخرى
مَضغوطا بملقطين غير مرئيين
مَسْحوقا بزمنٍ آخر

لو تحوّل إلى حجر
إلى منحوتة ثقيلة من مرمر
لا أبالية ولائقة
لكان مبعثَ ارتياح

انطرحَ على حافّة الدمار
الضيّقة
منفصلا عن الجذعِ
مَرْميّا كشرنقة

على الغداء
كانتْ الصحونُ ترنُّ
ولم تهبط الملائكة
للصلاة

كانت الأوبانيشادُ عزاءً[37]

حينَ يدخلُ
كلامُهُ في الفكر

37 الأوبانيشاد - آخر جزء في مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمّى الفيدات (ومفردها فيدا) ، وهي بمثابة الكتاب المقدس للديانة الهندوسية. وردتْ معظمها على شكل حوارات(جلسات) بين المعلم-الأستاذ وتلميذه ويبدو أن الشاعر أراد بها المحاورة (المترجم).

والفكرُ في النَّفَسِ
والنَّفَسُ في اللهب
واللهبُ في المعبود الأعلى
إذّاكَ تصيرُ المعرفة
غيرَ مُمْكنة

إذنْ ما كان بوسعه أن يعرفَ
كان لغزا بسيطا
ذا عقدة صغيرة
عند بوّابة الوادي

قصيدة في آخر الخريف للسيد كوجيتو مخصصة للمجلات النسائية

Późnojesienny wiersz Pana Cogito przeznaczony

Dla kobiecych pism

هذه فترةُ سقوط التفاح لكنّ الأوراقَ ما زالتْ تقاوم
الضبابُ صباحا يصيرُ كثيفا أكثرَ فأكثرَ والهواءُ يضمحلُّ
الحبّاتُ الأخيرةُ للعسلِ والاحمرارُ الأوّلُ لشجرِ القيقب
ثعلبٌ قتيلٌ في الحقلِ وفضاءٌ صريع

تغورُ التفاحاتُ في التربةِ وتقتربُ الجذوعُ من العيون
تأسرُ الأوراقَ في السلال فيستجيبُ الخشبُ
يُسْمعُ الآنَ بوضوحٍ كيف تتدحرجُ الكواكبُ
ويسطعُ القمرُ العالي، تَقَبّلْ غشاوة العينينِ

السيدُ كوجيتو ينظرُ في الفرق ما بين صوت الإنسان وصوت الطبيعة

Pan Cogito rozważa różnicę między głosem ludzkim a głosem przyrody

لا يَكِلُّ خطابُ العالمين

يمكنني أنْ أكرّرَ كلّ ذلك من جديد
بريشة موروثة عن الوزّة وهوميروس
برمح قصير
أواجهُ العناصر الأربعة

يمكنني أنْ أكرّرَ كلّ ذلك من جديد
تخسرُ اليدُ المرفوعة
الحنجرةُ أضعفُ من النبعِ
لنْ أجعلَ الرّملَ أصمّ
لنْ أربطَ الاستعاراتِ باللعاب
والعيونَ بالنجم
ولنْ أُخْرجَ الهدوءَ
من الصمتِ الدقيق

بواسطة الأذن وهي لِصْقَ الحجر

ألمْ أجمعْ كلَّ هذا الكَمّ من الكلمات في خطٍّ واحد
أطولَ من كلّ خطوط اليدِ
وبالتالي فهو أطول من الحظ
في خطٍّ مُقاسٍ خارجَ
الخطِ المزدهر
المستقيمِ كشجاعة الخطّ النهائي
لكنّ هذا كان بالكادِ أفقا مُصَغّرا

وما زالت بروقُ الأزهار تجري، أُوْراتِيو العشبِ أوراتيو[38] الغيوم
تُتَمْتِمُ جوقاتُ الأشجار بهدوءٍ ويشتعلُ الصخرُ
المحيطُ يطفئ الشمسَ اليومُ يبتلعُ الليلَ وفي ممَرّ الرياح
يقومُ نورٌ جديد
وضبابُ الفجرِ يرفعُ قُرْصَ الجزيرة

38 أُوْرَاتِيو (oratio) كلمة لاتينية بمعنى خِطاب (المترجم).

السيدُ كوجيتو يَأْسَى لشحّةِ الأحلام

Pan Cogito biada nad małością snów

والأحلامُ تتضاءلُ
أينَ هذه المواكبُ الحالمة لجدّاتنا وأجدادِنا
عندما صعدَ الملوّنون كالطيور المتهوّرون كالطيور عاليا
وفوق السلالم القيصرية أضاءَ ألفُ مصباح عنكبوتي
أما الجدُّ عَشيرُ العَصا فقد ضمَّ إلى جانبه
سيفَه الفضيّ والجدةَ غير المرغوبة التي كانتْ مهذّبَةً
حدّ أنها اتخذتْ له وجهَ الحبِّ الأول

إليهم
من غيومٍ شبيهة بدوائر دخان من التبغ تحدّثَ أشعياء
فعرفوا كيف حملتِ القدّيسةُ تيريزا الشاحبةُ كرقاقةٍ سلّةً من
الأغصان

كان رُعْبُهمُ كبيرا كحشدٍ تتريّ
والسعادةُ في الحلم مثلما مطر ذهبيّ

حلمي- دقّ الجرسُ فيما أنا أحْلقُ في الحمّام، أفتح البابَ
وإذا بالجابي يُسلّمني فاتورةَ الغاز والكهرباء
ليستْ عندي نقودٌ أعودُ للحمّامِ مفكرا
في الرقم 63 , 50
أرفعُ عينيّ حينئذٍ أرى في المرآة
وجهي هكذا واقعيا وبأنني أستيقظ صارخا

لو حلمتُ مرّة واحدة بِصُدْرة جلادٍ حمراء
أو بقلادةِ مَلكةٍ لكنتُ للأحلام شاكرا

السيّد كوجيتو والشاعر في سنّ معينة

Pan Cogito a poeta w pewnym wieku

1

الشاعرُ في فترة الإياسِ
شخصيةٌ غريبة

2

يتطلّع في المرآة
يُهشّمُ المرآة

3

في ليلةٍ غير مُقْمرة
يُغْرِقُ السجلَّ في بِرْكةٍ داكنة

4

يتلصّصُ على الشبّان
يُقلّدُ تأرْجحَ أوْراكهم

5

يُديرُ اجتماعَ
التروتسكيين المُستقلينَ
يُشجّعهم على إشعال الحرائق

6

يكتبُ رسائل
إلى مدير المجموعة الشمسية
حافلةً باعْترافاتٍ حميمية

7

الشاعرُ في سنّ مُعيّنة
في منتصف عمرٍ غير مؤكد

8

بدلا من تربية
زهور الثالوث ومحاكاة الأصوات
يَزرعُ الهتافاتِ الشائكة
الإهاناتِ والمعاهداتِ

9

يقرأ بالتناوب أشْعياءَ ورأسَ المال
بعدَها في حَمِيّةِ النقاشِ
تختلطُ داخِلَهُ الاقتباساتُ

10

الشاعرُ في فترة ضبابية
بين إيروسٍ راحلٍ
وثاناتوس الذي لم يَسْتفقْ بعدُ من الحجر[39]

11

يُدَخّنُ الحشيشة
لكنه لا يرى
أيةَ سرمدية
أية أزهار
أية شلالاتٍ
إنه يرى موكبا
لرهبانٍ مغطاة رؤوسهم
يصعدونَ إلى جبل صخري
بمشاعل مُنطفئة

39 إيروس: إله الحبِّ والجنس والشهوة في الميثولوجية الإغريقية. أمّا ثاناتوس: فهو ابن إلهة الليل ويجسّد الموتَ السلس (المترجم).

12

الشاعرُ في سنّ مُعيّنة
يستذكرُ طفولةً دافئة
فتوّةً مُفْعمةً
ومرحلةَ رجولة شائنة

13

يلعبُ
بفرويد
يلعبُ
بالأمل
يلعبُ
بالأحمر والأسود
يلعبُ
بالجسد
والعظام
يلعبُ ويخسرُ
يُظهرُ ضحكةً خادعة

14

والآنَ فحسْب يتفهّمُ أباه
لا يمكنه أن يغفرَ لأخته

التي هربتْ مع ممثلٍ
يحسدُ أخاه الأصغرَ
المنحني على صورةِ أمّهِ
محاولا مرة أخرى
حثَّهَا على الإخصاب

15

الأحلام
بالغةٌ بدون جدية،
القسُّ معلّمُ الدين،
الأشياء ناتئة
و(ياجا) عصيّةٌ على الوصل

16

يتطلعُ فجرا
إلى يده
يستغربُ من الجلد
الشبيهِ باللحاء

17

على خلفية اللازورد الفتيّ
ثمة شجرةُ أوردَتِهِ البيضاء

السيدُ كوجيتو والبوب

Pan Cogito a pop

1

أثناء كونسرت البوب
السيد كوجيتو يتأمّلُ
في جماليّة الصخب

الفكرة بحدّ ذاتها
جذّابة

أنْ تكونَ مَعبودا
يَعني أنْ تقذفَ الصواعق

أو بلاهوتيةٍ أقلّ
أنْ تبلعَ لغةَ العناصر الأربعة

أنْ تستبدلَ هوميروس
بزلزال أرضيّ

وهوراسَ
بتيهورٍ حجريّ[40]

أنْ تستخرجَ من الأحشاء
هذا الذي في الأحشاء
الذُعْرَ والجوع

أنْ تُعرّي قنواتِ
الطعامِ
تُعرّي قنواتِ
التنفس
تُعَرّي قنواتِ
الرّغبة

أنْ تعزف على الحنجرة الحمراء
أغاني حبٍّ جنونية

2
المشكلة تكمن في
أنّ الصراخَ لا يخضعُ للشكل
لأنه أفقرُ من الصوتِ

40 التيهور: انهيار ثلجي (المترجم).

الذي يتسامى
ثم ينخفض

الصراخُ يُلامسُ الصمتَ
لكنْ من خلال البحّة
لا من خلال إرادة
وصْفِ الصمت

هو داكنٌ بصورة صارخة
لعجزه عن التعبير

رفضَ نعْمَةَ الفكاهة
لأنهُ لا يعرفُ الأصواتَ الخفيضة

إنه كشفرةٍ
مغروزةٍ في السرّ
لكنه لا يلتفُّ حول السرّ
لا يَفقهُ أشكالَهُ

يُعَبّرُ عن حقيقة المشاعر
من خلال مَحميّات الطبيعة

يبحث عن الفردوس المفقود
والنظام في الأدغالِ الجديدة

يُصَلّي من أجل موتٍ عنيف
وهذا ما يجري له الاعترافُ به

السيد كوجيتو عن السحر

Pan Cogito o magii

ميرتشه إليادَه لديهِ حقٌّ[41]
نحنُ - رغم كلّ شيء
مجتمعٌ متقدم

السحرُ والعرفانية
يزدهران بشكلٍ غير مسبوق

جناتٌ مصطنعة
جحيماتٌ مصطنعة
تُباعُ في ركنِ الشارع

في أمستردامَ تمّ اكتشافُ
أدواتِ تعذيبٍ بلاستيكية

الآنسة من ماساتشوسيتس
اعتمَدتْ معموديةَ الدم

41 ميرتشه إليادَه (1907-1987) مفكر وكاتب ومتخصص في تاريخ الأديان وفلسفتها من رومانيا وعمل كأستاذ كرسي في جامعة شيكاغو (المترجم).

مشلولو اليوم السابع
يقفون في مدارجِ المطارات

يخطفهم البعدُ الرابع
إسعافٌ ذاتُ صفارةٍ مبحوحة

عبر شارع التلغراف
تجري أفواجُ المُلتحين
في رائحة عَبِقةٍ من النيرفانا[42]

السيدُ فاصوليا حلمَ
بأنه إلهٌ
والإلهُ العدمُ
سالَ بطيئا كالقلمِ
من برجِ إيفل

الفيلسوفُ الغِرُّ
تلميذُ ماركيز دي ساد
يَبْقُرُ ببراعةٍ
بطنَ امرأةٍ حامل

42 النيرفانا: في البوذية هي حالة انفصال روحية عن ما يحيط بالمرء، عادة ما تكون خالية من المعاناة، يصل إليها الإنسان (من الكهنة أو الفقراء) بعد فترة عميقة من التأمل (المترجم).

ويرسمُ بالدّمِ على الحائط
آياتِ الإبادة

يُضافُ إلى ذلك عربداتٌ شرقية
قسريةٌ ومملّة قليلا

2

تنمو منها الثرواتُ
فروعُ الصناعة
فروع الجريمة

السفنُ الصغيرة العاملة تُبحرُ
في رحلةٍ من أجل جذور جديدة

مهندسو الفسوق البَصَريّ
يعملون بلا كلل

كيميائيو الهلوسة اللاهثون
يُنتجون
اختلاجاتٍ جديدة
ألوانا جديدة
تأوهاتٍ جديدة

ثم يولد فنٌّ
الصّرَع العدواني

بمرور الوقت
يَشيبُ المفسدون
فيفكّرون بالرّضا

حينئذٍ تنشأ
سجونٌ جديدة
منافي جديدة
مقابرُ جديدة

إلا أنّ هذه هي رؤيا
لمستقبل أفضل

حاليا
يزدهرُ
السحرُ
أكثرَ من أيّ وقت

بروميثيوس العجوز
Stary Prometeusz

يكتبُ مذكراتِه. يُحاولُ تفسيرَ مكان البطل في نظام
الضرورات، ومُلاءمةَ فكرة الوجود والمصير المتناقضة مع ذاتها.

تتوهّجُ النارُ في الموقد بانتشاء، الزوجةُ تستعجل في المطبخِ –
فتاةٌ جليلة لم تتمكنْ من ولادةِ طفل له، لكنها تُعَزّي نفسَها
بدخولها إلى التاريخ. التحضيرُ للعشاء الذي سيحضره
الكاهنُ المحلّي العطّارُ أقربُ صديقٍ الآن
لبروميثيوس.

النارُ تتوهّجُ في الموقدِ. على الحائط نسرٌ محنّطٌ ورسالة
شُكْرٍ من طاغيةِ القوقاز الذي بفضل اكتشاف
بروميثيوس استطاع أنْ يُحْرقَ المدينةَ المتمردة.
بروميثيوسُ يضحكُ بصوتٍ خفيض. هذه طريقته الوحيدة الآن
على التعبيرِ على عدم التوافقِ مع العالم

كاليغولا

Kaligula

السيدُ كوجيتو أحيانا وهو يقرأ السجلاتِ القديمةَ، القصائدَ
والسِّيَرَ، يختبر
مشاعرَ حضورٍ فعليّ لأشخاص ماتوا سابقا.

يقولُ كاليغولا:

مِنْ بينِ جميعِ مواطني روما
أَحْبَبْتُ واحدا لا غير
هو إنْسِيتاسُوس- الحصانَ[43]

حينما دخل مجلسَ الشيوخ
كانتْ بَرْدَعَةُ وَبَرِهِ الطاهرة
تلمعُ بعِصْمَةٍ وسط القتلة الجبناء المُزيّنينَ باللون الأرجواني

كان إنْسِيتاتُوسُ مليئا بالفضائل
لم يتكلم مطلقا

43 إنْسِيتاتُوس (Incitatus) اسم حصان السباق المفضل لدى كاليغولا(12-41م) - ثالث إمبراطور روماني صار فيما بعد رمزا يجسّدُ الشرّ والطغيان وجنون العظمة.

طبيعةٌ رزينة
أعتقد أنه في الليل كان يقرأ الفلاسفة
عشقتُه كثيرا حدَّ أنني ذاتَ يومٍ قررتُ
صَلبه
لكنّ تركيبته الجسديةَ النبيلة حالتْ دون ذلك

لقد تقبّلَ بلا اكتراث منصبَ القنصل
وحكمَ على أحسن وجه
يعني أنه لم يَحكُمْ إطلاقا

لم يلتزمْ بعلاقاتِ الحبّ الدائمة
مع زوجته العزيزة سيزونيا
لهذا ويا للأسف لم يتأسّسْ خطُّ الأباطرة-القنطوريين[44]

ولهذا سقطتْ روما

قررتُ تعيينه إلهاً لكنه في اليوم التاسع قبل التقويم الروماني
تشيريا وكورنيلوسُ وسابينوسُ وأغبياءُ آخرون حالوا دون

44 القنطور هو كائن خرافي ورد في الميثولوجيا الإغريقية، ذو رأس وجذع بشري وجسم حصان (المترجم).

تحقيق هذه النوايا المُعْتَبرة[45]

لقد استقبلَ نبأَ موتي بهدوء

رَمُوهُ من القصر وقضوا عليه بالمنفى

تحمّلَ هذه الطعنةَ بشرف

ماتَ أبترَ بلا أولاد
مَذبوحا من قبلِ جزّار فظّ من منطقة أنسيوم

تاسِيتُسْ لم يذكرْ شيئا[46]
عنْ مصير لحمه بعد الموت

45 تشيرنيا عمل في الحرس الامبراطوري، وكونيلوس كان أسقف روما ثم صار البابا، وسابينوس سياسي وعسكري روماني (المترجم).

46 أنسيو (أنسيوم) مسقط رأس كلٌّ من نيرون وكاليغولا، وتاسيتس- مؤرخ روماني ورئيس القضاة (المترجم).

السيدُ كوجيتو يستلم أحيانا رسائل غريبة

Pan Cogito otrzymuje czasem dziwne listy

السيدةُ أميليا من دارمْشتاد
تطلب العونَ
في الكشف عن جدّها الأوّل
لودفيك الأوّل

لقد فُقِدَ
أسْوةً بالكثيرين
في زمن الاضطراب الحربي

آخرَ مرةٍ
شُوهِدَ فيها
كان في ضيعة العشيرة
بالقرب من مدينة يَلَنْيَا كَوُرا

السيد كوجيتو
يتذكّر جيدا
شتاءَ عام 1944
القارس الحافل بالحرائق

الجدُّ الأسبق
الذي كان دوقا
عاش حينها
داخلَ إطار

كان يقف
في زِيٍّ موحد
بسروال أبيض

أمامَ كوخٍ ريفيّ
ثمّة عمودٌ مكسور
على يمينه
وفي الخلف
سماءٌ داكنةٌ عاصفة
مع خَطٍ كاشف في الأفق

السيدُ كوجيتو
بدون أدنى سخرية
يُفكّرُ
بموتِ الجدّ الأسبق

ألَمْ يفقدْ
برودةَ دمه
حينما تموضعَ
الحريقُ عند عتبة النافذة

ألَمْ يصرخْ
حينما جرجروه في الباحة

ألمْ يَخرّ
راكعا على ركبتيه
عندما صَوّبوا باتّجاهِ النجمة
الكبيرة فوق صدره

مُخيّلةُ
السيدِ كوجيتو
صغيرةٌ
مثل مُسْعِفٍ
ضائع في الضباب

لا يرى
الوجهَ
لا الزيّ الموحّد
ولا السروال الأبيض

يرى فقط
سماءً داكنةً عاصفة
مع خطٍّ كاشفٍ في الأفق

لعبة السيد كوجيتو

Gra Pana Cogito

1

اللعبةُ المُحَبّبةُ
للسيّد كوجيتو
هي لعبةُ كروبوتكين47

ثمة الكثيرُ من الميزات
للعبةِ كروبوتكين

إنها تُطلق المخيلةَ التاريخية
والشعورَ بالتضامن
تجري في الهواء الطلق
تحفلُ بالحوادثِ الدراميّة
قواعدها نبيلةٌ
والاستبدادُ يخسرُ دائما

47 بيوتر كروبوتكين (1842-1921) جغرافي روسي، ثوري الأفكار، دعا إلى التخلص من كل أشكال السلطة، كان منظرا للحركة الفوضوية اللاسلطوية (المترجم).

السيّدُ كوجيتو يضعُ الشخصيات
على لوحة الخيال الكبيرة

المَلكُ يعني
بيوترَ كروبوتكينَ وهو في قلعة بيتروبافلوفسكي
ثمة فيلانِ ثلاثةُ جنودٍ والخفير
والقلعةُ وعربةُ الإنقاذ

لدى السيّد كوجيتو اختيارٌ
عديدٌ من الأدوار

يمكنه أنْ يَلْعَبَ دورَ صوفيا نيكولايفنا الفاتنة
وهي تدُسّ خطةَ الهروب
في عُلْبَةِ الساعة

يمكنه أنْ يكونَ أيضا عازف الكمان
في البيت الصغير الرماديّ
الذي جرى استئجارُه قصدا
مقابلَ السّجن
وهو يعزفُ معزوفةَ الاختطاف من السراي
ممّا يعني أنّ الشارعَ فارغ

لكنْ أكثرُ ما يُفضّله
السيّدُ كوجيتو
هو دورُ الدكتور أوريستيس فايمار

إنّه في لحظةٍ مُؤثّرة
يُلْهِي بحديثه الخفيرَ عند البوابة

-أنتَ يا فانيا أرأيتَ الميكروب
- لم أرَهُ
- إنه يَمشي فوق جلدك
-لا تقلْ ذلك يا حضرةَ السيد
- يمشي وله ذيلٌ
-كبيرٌ؟
-له اثنتان أو ثلاث فَرْستات[48]

إذّاك تنزلقُ قبّعةُ الفرو
فوق عيني الخروف[49]

48 الفيرستا- وحدة قياس روسية قديمة تساوي ما ينوف على 1600 مترا (المترجم).
49 يقصد الشبيهتين بعيني الخروف. يبدو أن الشاعر يصف هروب كروبوتكين من المستشفى وتهريب الرسائل من السجين نحو الخارج بصورة غير شرعية(المترجم).

أمّا الآن
فتدورُ بسرعةٍ
لعبةُ كروبوتكين

الملك-السجينُ يقطع أشواطا طويلة
يُصارعُ مع البشكير الصوفيّ الناعم
عازفُ الكمان في البيت الصغير
يعزفُ الاختطافَ من السراي
تُسْمَعُ أصواتٌ: امْسِكُوه
الدكتور أورستيس يحلمُ بالميكروبات
دقّاتُ القلب
الحذاءُ مُسَمّرٌ فوق الرصيف
والفيلانِ بلا حراك

السيّد كوجيتو
يفرحُ كالطفل
لقد فازَ مرّة أخرى بلعبةِ كروبوتكين

2

سنوات طويلة
لسنواتٍ طويلة
يلعبُ السيدُ كوجيتو

لكنْ أبدا
لم يَجْذِبْهُ دورُ
بطلِ الهروب

لا لعدمِ رغبته
بدم أمير الفوضويين
الأزرق
ولا لاشمئزازه من نظريةِ
التعاضدِ
ولا ينجم ذلك أيضا من الجبنِ
لأنّ صوفيا نيكولايَفْنَا
والعازفَ من البيت الصغير
والدكتور أوريستيس
أيضا خاطروا برؤوسهم

مع ذلك يتماهى
السيدُ كوجيتو
معهم تقريبا تماما

السيدُ كوجيتو
بودّهِ أنْ يكونَ وسيطا للحرية

أنْ يُمْسِكَ بحبلِ الهروب
بتهريبِ الرسائل
وإعطاءِ الإشارات

أنْ يَثِقَ بالقلب
بنقاءِ التعاطف اللاإرادي

مع ذلك لا يريدُ أنْ يكونَ مسئولا عمّا
يَكتبُه في مجلة "الحرية"
الملتحونَ
ذوو المخيلة الباهتة

إنه يقبل بدورٍ بدائيّ
لنْ يسكنَ في التاريخ

ما رأيُ السيّدِ كوجيتو في الجحيم

Co myśli Pan Cogito o piekle

أدنى حلقةً في الجحيم على خلاف الرأي السائد لا يسكنها
المُستبدّونَ ولا قاتلو أمّهاتهم ولا حتى أولئك الذين يسيرونَ
وراء أجساد الآخرين. إنها ملجأ للفنانين، حافلٌ بالمرايا، والآلاتِ
الموسيقية واللوحات. للوهلة الأولى يبدو القسمُ الشيطانيّ أكثرَها
رفاهيةً، فهو بدون قارٍ أو نارٍ ولا تعذيب جسديّ.
كلّ عامٍ تُقامُ هناك المسابقاتُ والمهرجاناتُ والحفلاتُ الموسيقية.
قبل أن يكتملَ الموسمُ، الحضورُ دائم ويكاد أنْ يكونَ مطلقا.
كلَّ فصلٍ تُقام أقسامٌ جديدةٌ ولا شيء بمقدوره أنْ يُوقفَ
مسيرةَ الطليعةِ الحافلة.
الشيطانُ يُحبّ الفنّ. يفتخرُ بأنّ جوقاتِه، وشعراءَه
ورسّاميه يَسْمُونَ على السّماويينَ تقريبا. مَنْ فنّه أفضلُ،
له مكانٌ أفضل- وهذا بديهيّ. وعمّا قريب سيكونون
جاهزين للمنازلة في مهرجان العالَمَيْنِ. حينئذ سنرى ماذا سيبقى

من دانتي، وَفْرَا أنْجيليكو[50]، وباخ
الشيطانُ يدعم الفنّ. يَمنحُ فنّانيه الهدوءَ،
التغذيةَ الجيدةَ والعَزْلَ التامَ عن حياةِ الجحيم

50 Fra Angelico فرا أنجليكو-(1395-1455) رسام دينيّ إيطالي من عصر النهضة المبكرة، رسم المنمنمات والفريسكو- المجصصات والأصباغ التي تجمع ما بين المائية والزيتية (المترجم).

رسالةُ السيد كوجيتو

Przesłanie Pana Cogito

اِمْضِ حيثُ مَضَى أولئك حتى النهايةِ الغامضة
من أجلِ جِزّةِ العدمِ الذهبية جائزتك الأخيرة

اِمْضِ مُنتصبا وسطَ مَنْ يركعون
بينَ مَنْ يُوَلّونَ أدبارَهم مُتعفّرينَ بالرّماد

لقد نجوتَ ليس من أجل أنْ تعيش
لديك قليل من الوقت ولا بدّ أن تُقدّم الشهادة

كنْ شجاعا عندما يَخيب العقلُ كنْ شجاعا
لأنّ هذا هو الشيء الوحيد الذي سيُحْسَبُ في النهاية

أما غضبك العاجزُ فليكنْ كالبحر
كلما سَمِعْتَ صوتَ المَذلولينَ والمسحوقين

لا تَدَعْ أخاك– الازدراءَ يهجرك
ازدراء الجواسيس الجلادين الجبناء-هم سيفوزون

سيمشون في تشييعك ويُهيلون بارتياح كتلةَ التراب
الخنفساءُ ستكتب سيرتك المُرتّبة

لا تَغفرْ لأنه ليس في وسعك حقا
أنْ تغفرَ باسْمِ أولئك الذين خانوهم في الغبش

احترسْ مع هذا من الكبرياء الزائدة
تطلعْ إلى وجهك المهرّج في المرآة
وكرّرْ: جرى استدعائي-ألمْ يكُ هناك مَنْ هو أفضل
حَذارِ من جفاف القلب، أَحِبّ نبعَ الغبش،
الطائرَ مجهولَ الاسمِ، سنديانَ الشتاءِ
الضوءَ على الجدار بهاءَ السماءِ
هم لا يحتاجون إلى نفَسِكَ الدافئ
هُمْ مِنْ أجْل أنْ يقولوا: ليس منْ أحدٍ يُواسيك

كنْ يقظا-عندما يومئ الضوءُ في الأعالي- قُمْ واذْهَبْ
ما دام الدمُ في الصدر يُدير نجمَك المُعتم

كرّرْ تعازيمَ البشرية القديمة، الحكاياتِ والأساطير
فبهذا ستفوز بالخير الذي لنْ تكسبَه
كرّرِ الكلماتِ الكبيرةَ كرّرْها بإصْرار
كما فعلَ أولئك الذين مَشوا عبرَ الصحراء وفي الرّمل ضاعوا

سيُكافِئونكَ على ذلك بما تملكُ اليدُ
بسوطِ ضحكةٍ بقتلكَ في سلّة المهملات

اِمْضِ لأنكَ هكذا فقط ستُقْبَلُ في فئة الجماجم الباردة
في جماعة أسلافك: كَلكَامش هكتور ورولاند[51]
الذوّاد عن مَمْلكةٍ لا حدودَ لها عن مدينةِ الرّماد
كنْ مُخلصا واصِلْ طريقك

51 هكتور-أمير طروادة وابن ملكها بريام وهو ولّي عهده، ورولاند(قتل في 778)-كان قائدا عسكريا في جيش شارلمان وحاكما لمنطقة بريتوريا، ورد اسمه في الملحمة الشعرية الفرنسية: "نشيد رولاند"، وگلكامش، هي الشخصية السومرية المعروفة التي ذكرها وتحدّث عنها هربرت مرارا (المترجم).

تقرير من مدينة محاصرة
وقصائد أخرى

Raport z oblężonego miasta
i inne wiersze

(1983)

الذي رأيتُ

Co widziałem

إلى ذكرى كازيميز موتشارسكي

رأيتُ أنبياءَ ينتفون اللحَى المُصَفّفة
رأيتُ أفّاكينَ يَندسّونَ في طائفةِ النّدابين
قتلةً يتلبّسون جلودَ الحملانِ
يَمرّون أمامَ غضبِ الجماهير
وهم يعزفون على المزامير

رأيتُ ورأيت

رأيتُ إنسانا بعدَ أنْ عذّبوه
يجلس آمنا بين أفراد العائلة
يحكي لهم النكاتِ ويأكل حساءَه
نظرتُ إلى فمهِ المنفرج
فرأيتُ لثّتَهُ- كغُصْنَيْ برقوقٍ مَنْزوعَي اللّحاء
كان ذلك مخجلا إلى أبعدِ حدّ
رأيتُ العُرْيَ كلّهُ
والذلّ كلّهُ

فيما بعد،
في الأكاديمية
كان هناك أشخاصٌ كثيرونَ وأزهارٌ
كان الجوّ خانقا
وثمة مَنْ كانَ يتحدّثُ عن التحريفات بلا انقطاع
حينئذ فكرتُ بفمهِ المنحرفِ

أ هذا هو المشهدُ الأخيرُ
من مسرحيةِ النكرة
المسَطّحةِ كالكفن
المليئةِ بنشيجٍ كظيم
بقهقهةِ أولئكَ
الذين تَنَفّسُوا الصعداءَ
لأنهم حقّقوا من جديد ما أرادوا
وبعدَ إزالةِ الاكسسوارات الميتة
أخذوا ببطء
يرفعون

الستارةَ النازفة

(1956)

من أعلى السلالم

Ze szczytu shodów

حقا
أولئك الواقفون عند أعلى السلالم
يعرفون
هم يعرفون كلّ شيء

بخلافنا نحن
مُنظّفي الساحات
رهائن الغدِ الأفضل
الذين قلّما يظهر لهم
أولئك الواقفون أعلى السلالم
وإن ظهروا
فبإصْبعٍ على الفم دائما

نحن صابرون
ترقعُ زوجاتُنا قميصَ الأحد
نتحدّثُ عن حصص التموين
عن كرة القدم عن أسعار الأحذية

وفي السبت نُديرُ رؤوسَنا للخلف
ونسكر

لسنا من أولئك
القابضين على أكفّهم
الذين يهزّون السلاسل
يتكلمون ويسألون
يُحرّضون على التمرّد
المُتحمّسين
الذين مازالوا يتكلمون ويسألون

هي ذي قصتهم –
نقتحم السلالم
ونأخذها عنوة
ستتدحرج فوق السلالم
رؤوسُ مَن وقفوا في القمّة
أخيرا سنرى
ما يُرى من تلك الأعالي
من المستقبل
من الفراغ

نحن لا نريد مشهدَ
الرؤوسِ المتدحرجة
نعرف كيف تنمو الرؤوس بسرعة
ويبقى فوق القمة دائما
واحدٌ أو ثلاثة
أمّا في الأسفل فهناك اسْوادٌ من كثرة المكانس والمساحي.

نحلم أحيانا
بأنْ ينزلَ للأسفل
مَنْ هم عند أعلى السلالم
يعني إلينا
حيث نلوك الخبزَ فوق الجريدة
ليقولوا لنا:

- فلنتحدّث الآن
كما يتحدث إنسان مع إنسان
إنّ ما تُعلنه العناوينُ الكبيرةُ ليس حقيقيا
لأنّنا نحمل الحقيقة في أفواهٍ موصدة
إنها قاسية وثقيلةٌ للغاية
لذلك نحملها وَحْدَنا
لسنا سعداءَ

وكم بودّنا أن نبقى
ها هنا
هذه مجرّد أحلام في الحقيقة
يمكنها أن تتحقق
أو لا تتحقق
ولذا سنواصل
العمل في مربع الأرض
في مربع الحجر

بعَقلٍ بسيط
بسيجارة خلف الأذن
دون أدنى بارقة أملٍ في القلب

(1956)

روح السيد كوجيتو

Dusza Pana Cogito

قديما
نعرف من التاريخ
أنها خرَجتْ من الجسد
بعدَ توقّفِ القلب

ابتعدتْ بهدوء
مع النفَسِ الأخير
في مروج السماء

روحُ السيد كوجيتو
تتصرّف بشكل مغاير

هي تترك الجسدَ أثناءَ الحياة
بدون كلمة وداع

أشهرا وسنواتٍ هي تلهو
في قاراتٍ أخرى
خارجَ حدود السيد كوجيتو

من الصعب الحصولُ على عنوانها
هي لا تذكر شيئا عن نفسها

تتجنّب التواصلَ
لا تكتب الرسائل

لا أحدَ يعرف متى ستعود
ربما هي رَحَلتْ إلى الأبد

يُحاول السيدُ كوجيتو أن يتغلّبَ على
مشاعر الحسدِ الدنيا

يفكّر بالروح جيدا
يفكّر في الروح بحنان

بالتأكيد يجب عليه أن يسكن
أيضا في أجساد أخرى

السيد كوجيتو يوافق على مصيره
ليس لديه مَخرجٌ آخر

حتى أنه يحاول أنْ يَنْطقَ
-روحي يا روحي-

يفكّرُ في الروح برقة
يفكر في الروح بحنان

لهذا فحينما هي تعود
فجأة
لا يستقبلها بكلمات
- حسنا أنكِ عُدْتِ

يُلقي نظرةً جانبيّة عليها
حينما تجلس أمامَ المرآة
وهي تُمشّط شعرَها
المشبوكَ والأبيض

مرثية

Tren

في ذكرى أمّي

والآن لديها غيمةُ جذورٍ بُنّية فوق رأسها
زنبقةُ ملحٍ حُبيباتُ رملٍ فوق صدغيها
وتجري في قاعِ مركبٍ خللَ سديم رغويّ

على بُعْدِ مِيلٍ منّا هناك حيث النهرُ يستديرُ
مرئية-غير مرئية- كالضوء في الموج
حقا إنها لم تتغيّرْ- لكنها مهجورة كالآخرين

إلى النهر

Do rzeki

يا نهرُ- يا بنكامَ[52] الماءِ يا اسْتعارةَ الأبدية
أدخلُ فيكَ كلَّ مرة مختلفا
حتى بإمكاني أن أكونَ سحابةً صخرةً أو سمكةً
وأنتَ لا تتغير كالساعة التي تقيس
تحوّلاتِ الجسد وسقوطَ الروح،
تَحَلّلَ النسيج والحبّ

أنا المولودُ من الطين
أريد أن أكون تلميذك
وأن أعرف النبعَ القلبَ الأوليمبيّ
أيتها الشعلةُ الباردةُ الدّعامةُ الهادرة
يا صخرةَ الإيمان واليأس

علّمني يا نهرَ الصمود والثبات
أنْ أكونَ مُستحقّا في الساعة الأخيرة

52 البنكام ساعة رملية تتألف من حجرتين زجاجيتين تتصلان بفتحة ضيقة، تملأ العليا بالرمل (المترجم).

للراحةِ في ظلّ الدلتا العظيمة
في مثلّث البدء والنهاية المقدس

السيدُ كوجيتو- العودة

Pan Cogito-powrót

1

السيّد كوجيتو
قرّرَ أنْ يعودَ
إلى رحم الوطن
الحجرية

القرارُ مأساوي
وسيندم عليه كثيرا

لكنه لا يستطيع أن يتحمّل
العباراتِ المحكيةَ أطول:
-comment allez-vous
-wie geht's
-how are you[53]

53 هذا سؤال واحد: (كيف حالك) لكنه بلغات متعددة هي على التوالي: الفرنسية، والألمانية، والإنكليزية (المترجم).

الأسئلة البسيطة ظاهريّا
تتطلّب إجابةً صعبة

السيّد كوجيتو يحلّ
وثاقَ اللامبالاة العطوفة

لم يَعُدْ يؤمنُ بالتقدّم
يهمّه جرْحُه الشخصيّ

مَعَارضُ الوفرة
تملؤه بالقرف

لقد اعتادَ فحسب
على كنيسة سان كليمنت
على بورتريه سيّدةٍ ما
وكتابٍ لم يلحقْ أن يقرأه
وعددٍ من التفاصيل الأخرى

مع ذلك فهو يعود

يرى الآن
حدودا

حقولا محروثة،
أبراجَ رمايةٍ قاتلة
ودغلا كثيفا من الأسلاك الشائكة

الأبواب المدرّعة
بدون ضجيج
تنغلق وراءه وئيدا

وهاهو الآن
وحيد
في خزانة
كلّ المحن

2
إذن لماذا يعود
يسأل الأصدقاءُ
من العالم الأفضل

بإمكانه البقاءُ حيث هو
وترتيبُ أموره بصورة ما

وتركُ جرحِه
للمزيل القاصر

تَرْكُهُ
في محطة الانتظار
في المطارات الكبيرة

إذن لماذا يعود

- لِماءِ الطفولة
- للجذورِ المتشابكة
- لمعانقة الذكرى
- لليدِ والوجهِ المحترقين
على قضبان الزمن

الأسئلة البسيطة ظاهريا
تتطلب إجابةً صعبة

ربما السيّد كوجيتو
يعود لكي يعطي جوابا

على همسات الخوف
على السعادة المستحيلة
على الصدمة المفاجئة
على السؤال الماكر

السيّد كوجيتو والمُخيّلة

Pan Cogito i wyobraźnia

1

السيّدُ كوجيتو لم يَثِقْ أبدا
بألاعيب المُخيّلة

ثمة بيانو عند قمّة الألب
عزفتْ له معزوفات زائفة

لم يُقيّم المتاهات
أما أبو الهول فأثار اشمئزازه

كان يسكن في بيت بلا سراديب
دونَ مرايا أو جدليات

والأدغال المتشابكة الصور
لم تكنْ له وطنا

نادرا ما كان يُحلّقَ
بأجنحةِ المجاز

كي يسقط فيما بعدُ مثل إيكاروس[54]
في حضن الأم الكبيرة

كان يُحبُّ حشوَ الكلامِ
والتفسيرَ على طريقة
كالسابق كالسابق

فالطائر طائر
والعبودية عبوديّة

السكيّن سكّين
والموت موت

أحَبَّ
الأفقّ المنبسطَ،
الخطّ المستقيمَ
وجاذبيةَ الأرضِ

54 إيكاروس- هو ابن ديدالوس في الميثولوجيا الإغريقية، بنى لنفسه جناحين من الشمع لكنه سقط بسبب حرارة الشمس، والأم العظيمة هي الأرض (المترجم).

2

السيدُ كوجيتو
سيُعَدُّ من فصيلة نادرة

سيتقبّلُ بلا اكتراثٍ حكمَ
باحثي الحرفِ الآتينَ

لقد استخدمَ المُخيّلةَ
لأهدافٍ أخرى تماما

أراد أنْ يجعل منها
أداةً للتعاطف

كان بودّه أن يستوعبَ حتى النهاية

-ليلةَ باسكال
-طبيعةَ الماس
-كآبةَ الأنبياءِ
-غضبَ أخيلس
-جُنونَ قاتلي البشر
-أحلامَ ماريا ستيوارت
-فزعَ الإنسان البدائي

-قنوطَ آخِرِ الأزتيك
-احتضارَ نيتشه الطويل
-فرحَ رسّامِ كهفِ لاسْكو[55]
-نُمُوَّ وسقوطَ السنديان
-نموّ وسقوطَ روما

وبالتالي إحياءَ الموتى
والحفاظَ على العهد

مُخيّلةُ السيّد كوجيتو
ذاتُ حركةٍ رقّاصة

تنوسُ بدقة
من معاناة إلى أخرى
لا مكانَ فيها
لنيرانِ الشعرِ المُفتعلة

بودّه أنْ يَظلّ وفيّا
للوضوح غيرِ المؤكد

55 كهف لاسكو، يقع في جنوب غرب فرنسا ويعتبر من بين أقدم الكهوف الزاخرة بالرسومات والنقوش في العالم (المترجم).

رسالة إلى ريشارد كرينيتسكي

Do Ryszarda Krynickiego-list

لنْ يَبقى الكثيرُ يا ريشارد حقّا لنْ يبقى الكثير
من شعرِ هذا القرنِ المجنونِ ثمة بالتأكيد ريلكه وإليوت
وقلّةٌ أخرى من الكهنةِ الأجلّاء مِمّنْ عرَفوا سرّ
تعاويذِ الكلمات والشكلِ المقاومِ لفعل الزمنِ الذي
بدونه لَمَا كانت العبارةُ الجديرة بالذكر ولكان الكلام كالرّمل

مُقرّراتنُا المدرسية مُعَذَّبَةٌ بصراحة
مع أثرِ العرق والدّموع والدماء ستكون
بالنسبة للمُصحّحة الدائمة كنصّ أغنيةٍ منزوعِ اللحن
قويمٍ بنبلٍ وجَليّ بإفراط

اعتقدنا في غاية السهولة بأنّ الجمال لا يُنقذ
وأنه يقود المتهوّرين من حلم إلى حلم نحو الموت
لم يكنْ بوسع أيّ منّا أنْ يُوقظ جنيّةَ شجرةِ الحور
أنْ يقرأ كتابةَ الغيمِ
ولهذا فلنْ يخطو في مساراتنا وحيدُ القرن
لن نُحيي السفينة في الخليج ولا الطاووسَ لا الوردة

العريُ هو ما تبقى ونحن عُراةً نقفُ
في أفضل جانبٍ على يمين الثلاثية[56]
يوم القيامة

حملنا على أكتافنا الهزيلة القضايا العامة،
الكفاحَ ضدّ الاستبداد الكذب ومدوّنات المعاناة
لكنّ خُصُومَنا-أ تعترف- كانوا مَعدودينَ على نحوٍ مُخزٍ
لهذا فهل يستحقّ أنْ ننزل بالكلام المقدّس
من ثرثرة المنبر إلى رغوة الجرائد السوداء
قليل جدا هو فرحُ -ابنة الآلهة في أشعارنا يا ريشارد
ضئيلةٌ هي الأشْفاقُ الساطعةُ والمرايا والأكاليلُ والانتشاء
لا شيء سوى تراتيلِ المزامير ولَعْثمةِ الأرواح الصغيرة
وجرارِ الرّماد في حديقة مُحترقة

كم من القوى مطلوبة رغم المقادير
وأحكام التواريخ وآثام البشرية
في بستان الخيانة كي نهمسَ- أيتها الليلة الهادئة

56 المقصود هنا ثلاثية المذبح في الكنيسة عادة- لوحة فنية من ثلاثة أجزاء- لوحات، تظهر يوم الحشر وخير من عبّر عنه بلوحة بليغة ثلاثية الأبعاد هو الفنان الألماني هانس ميملينغ (1430-1494): يقف في وسطها المسيح وإلى جانبيه عراة البشر، أفضلهم حالا من هم على اليمين (المترجم).

كم من قوى الروح مطلوبة كي نقدح
ونحن نضرب لا على التعيين يأسا بيأس
شرارةَ الضوءِ وشعارَ المُصالحة

لأجلِ أنْ تستمرّ أبدا حلقةُ الرقص على العشب الكثيف
بُوركتْ ولادةُ الطفل وكلُّ بدايةٍ،
هِبَاتُ الهواء والأرض والنار والماء

أنا لا أعرف هذا-يا عزيزي-لماذا
أبعث إليك ليلا بهذه الألغازِ البُوميّة
عناقيَ القلبيّ
وانحناءة ظلي

السيد كوجيتو عن العفّة

Pan Cogito o cnocie

I

ليس غريبا
أن لا تكونَ معبودةَ
الرجالِ الحقيقيين

مَعبودةَ الجنرالاتِ
ورياضيّ السلطةِ
والمُستبدّين

منذ قرونٍ وهي تسير خلفهم
هذه العانسُ البكّاءة
بقبّعةِ جيشِ الخلاصِ الفضية
تُذَكّرُهم

تُخْرجُ من العثّ
صورةَ سقراطَ،
صليبا مجبولا من الخبز
كلماتٍ عتيقة

- وحولها تزدهرُ حياةٌ رائعة
متورّدةٌ مثل مسلخةٍ في الفجر
يمكن حفظها تقريبا
في عُلَيْبةٍ فضّية
من الذكرياتِ البريئة

كلَّ مرةٍ هي أصغرُ
كشعرة في البلعوم
كطنينٍ في الأذن

2

يا إلهي
يا لو كانت فَتيّةً قليلا
جميلةً قليلا

مُسَايرةً لروحِ العصر

تهزّ ردفيها
على إيقاع الموسيقى السائدة

ربما لأحبّها إذّاك
الرجالُ الحقيقيون
الجنرالاتُ ورياضيو السلطةِ والمُستبدون

لو أنّها اعْتنتْ بنفسِها
وصارَتْ كالبشر
مثلَ (ليز تايلور)
أو كرَبّةِ النصر

لكنّ رائحةَ النفثالين
تعطّ منها
تزمّ الشفتين
وتكرّرُ الكلمة الكبيرة – لا

هي في عنادها لا تُطاق
مضحكة كفزّاعة الحقل
مثل حلم الفوضوي
مثل سِيَرِ القدّيسين

هواجسُ السيد كوجيتو الأخروية[57]

Przeczucia eschatologiczne

1

يا لكثرة المعجزات
ونزوات الحظ،
الانبهارات والسقطات
في حياة السيد كوجيتو
لهذا فربما الأبدية
ستكون لديه مريرة

بدون رحلاتٍ
أصدقاءَ
وكتب

لذلك
سيكون عنده كثيرٌ من الوقت
كمُصاب بالسلّ الرئويّ
كقيصر في المنفى

57 الأسخاتولوجيا- هي علم الأخرويات أيْ آخر الزمان (المترجم).

من المؤكد أنه سينظف
ساحةَ المَطهر الكبيرة
أو سيُحسّ بالضجر أمامَ المرآة
في دكّان الحلاق المهجور

بدونِ قلم
حبرٍ
ورقٍ
بدونِ ذكرياتِ الطفولة
بدونِ التاريخ العام
وأطلسِ الطيور

شأنه شأنُ الآخرين
سيدخل
كورساتِ إبادة
العادات الأرضية

لجنةُ التجنيد
تعمل بدقة متناهية

على إزالةِ بقايا الحواسّ
والمُرَشّحين إلى الجنة

سيدافع السيّد كوجيتو عن نفسه
سيقاومُ بشراسة

2

من الأسهل عليه أن يُعيدَ الشمّ
كان يستخدمه باعتدال
لم يَتَعقّبْ أيَّ أحدٍ أبدا

ولهذا سيُعيد أيضا بلا أسف
مَذاقَ الطعام
ومَذاقَ الجوع

وفوق طاولة لجنة التجنيد
سيضع شَحْمَتي الأذنينِ
كان مولعا بالهدوء
في الحياة الدنيا

لكنه فقط سيُفسّر
للملائكةِ المُتشدّدينَ
بأنّ النظر واللمسَ
لا يريدان أن يفارقاه

وأنه ما زال يُحسّ في جسده
بكلّ أشواك الأرض
بالشظايا
بالمُداعبات
بالوهج
وخفقانِ البحر

وأنه ما زال يرى
الصنوبرةَ عند سفح الجبل
والشمعداناتِ السبعَ لصلاة الفجر
والحجرَ بعروقه المُزْرَوْرِقة

سيخضعُ لكلّ أصنافِ التعذيب،
للإقناع بالحُسنى
لكنه سيدافع حتى النهاية
عن الإحساس بالألم

وعن بعضِ الصور الباهتة
في قاع العينِ المُحترقة

3

منْ يدري
ربما سيتمكن
من إقناع الملائكة
بأنه لا يصلحُ
للخدمة
السماوية

وسيسمحون له بأنْ يعودَ
عبرَ المسارِ المكسوّ بالعشب
عند ضفّة البحر الأبيض
إلى كهفِ البداية

بابل

Babylon

حينما عدتُ بعدَ سنواتٍ إلى بابلَ كان كلّ شيء تغيّر
الفتياتُ اللواتي أحببتهنّ وأرقامُ خطوط المترو
جلستُ قربَ الهاتف لكنّ الحوريّاتِ بعناد صمتن

لذا فالسلوان هو فنّ-صار بيتروس كريستوس وبورتريه الفتاة[58]
مُسَطّحا أكثرَ فأكثرَ طوَى جناحيهِ للنوم
وأضواءُ الإبادةِ والمدينةُ اقتربتْ من بعضها

مهرجانُ نهايةِ العالمِ المشاعلُ والمَدعوّة سيبيلا[59]
باركت الحشودَ الثملةَ أتباعَ الوفرةِ
جسدُ الإله المَدوسُ سَحلوه في الانتصار والغبار

58 بيتروس كريستوس (1410-1475) رسام هولندي من مطلع عصر النهضة، ولوحة الفتاة اليافعة من لوحاته المعروفة (المترجم).

59 سيبيلا (1160-1190) كانت ملكة القدس، قاومتْ صلاح الدين الأيوبي ولكنها هُزِمَتْ (المترجم).

هكذا يتحقق الهرجُ والمرجُ الموائدُ الاتروسكانيةُ منصوبة[60]
هم يحتفلون بثيابٍ ملطّخةٍ بالنبيذ جاهلينَ مصيرَهم
في النهاية يجيء البرابرةُ كي يُقَطّعوا الشرايين

لم أكنْ أتمنّى لكِ الموتَ أيتها المدينةُ على أية حال ليس
هكذا لأنّ ثمارَ الحريةِ الحلوةَ ستغور معكِ في التراب
وكلّ شيء ينبغي البدءُ به من المعرفة المرّة، من العشب

60 إشارة من الشاعر إلى الإتروسكيين الذين استوطنوا في توسكانا في إيطاليا القديمة، قبل تأسيس روما في 750 ق.م (المترجم).

قَتَلةُ الملوك

Mordercy królów

كما يقول ريجيس هم يُشبهون بعضهم كالتوائم[61]
رافايالاك وبرينسيب كليمنت وكاسيريو[62]
ينحدرون من عوائل مصابة بالصرع والمنتحرين
هم ذاتهم أصحاءُ بمعنى عاديين
عادة ما يكونون شَبَابا فتيانَ وهكذا هم سيبقون خالدين

عُزلتهم لشهور وسنواتٍ يشحذون سكاكينهم
وفي الغابة خارج المدينة بدقةٍ يتعلمون الرماية

61 راجيس ربما يقصد الشاعر به القديس جان فرانسوا ريجيس (1597-1640) (المترجم).

62 فرانسوا رافايلاك (1578-1610) معلم ومتدين وقاتل هنري الرابع ملك فرنسا. وسانتو جيرونيمو كاسبريو (1873-1894) فوضوي إيطالي وهو قاتل ماري فرانسوا سادي الرئيس الرابع لجمهورية فرنسا الثالثة، وبرينسيب غافريلو (1894-1918) قومي صربي قام باغتيال ولي عهد النمسا فرانز فرديناد وزوجته مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى (المترجم).

يُخطّطون للقتل إنهم مجتهدون وحيدون ونزيهون للغاية
يُعطون أمهاتِهم القروشَ المكتسبة ويسهرون على أشقائهم

لا يشربون الكحولَ بدون البنات والأصدقاء

بعد عملية الاغتيال يستسلمون بدون مقاومة
يتحمّلون التعذيبَ برجولةٍ ولا يطلبون الصفْحَ
يُنْكرونَ الشركاءَ المزعومينَ المُقدَّمينَ أثناء التعذيب

لم يكنْ هناك محاولةُ اغتيال كانوا وحدهم
صراحتهم اللاإنسانية وبساطتهم
تُغْضبُ القضاةَ محامي الدفاعِ والجمهورَ الطامعَ بالإثارة
وأولئك الذين يبعثون الأرواحَ
إلى العالم الآخرِ يُذْهلهم هدوءُ هؤلاء المُدانينَ في الساعة الأخيرة

الهدوءُ انْعدامُ الغضبِ والأسى بل حتى الحقد
إشراقٌ تقريبا

بعد ذلك فُتّشتِ أمخاخهم
وُزِنَت القلوبُ قُطّعتِ الأكبادُ ولم يعثروا
على أيّ خروجٍ عن المعتاد

لا أحدَ تمكّنَ من تغيير مسيرة الأحداث

لكنْ من جيل إلى جيل سَرَتْ رسالةٌ معتمة
ولذلك فهذه الأيدي الصغيرةُ تستحقُّ التوقفَ عندها
الأيدي الصغيرةُ التي يهتزُّ فيها يقينُ الطعنة

السيد كوجيتو يفكّرُ في الدم

Pan Cogito myśli o krwi

1

السيّدُ كوجيتو
وهو يقرأ كتابًا
عن آفاق المعرفة
عن تاريخ تقدّمِ الفكر
من ظلماتِ الفكر الإيماني[63]
إلى نور المعرفة
صادفته حادثةٌ
قد غشِيَتْ
أفقَ السيّد كوجيتو الخاص
بغيمةٍ

إسهامةٍ صغيرة
في تاريخ منتفخ
من الأخطاء البشرية الفادحة

63 منطقة تقع وسط شرق فرنسا تنتج نبيذا باسم البروغندي (المترجم).

لفترة طويلة
سادَ معتقدٌ
بأنّ الإنسانَ يحمل في داخله
خزينا هائلا من الدم

برميلا ضخما
ينوف على عشرين لترا
-من التفاهة

مِنْ هنا يمكننا أن نفهمَ
أوصافَ المعارك الجيّاشة
الحقول الحمراء كالمرجان
جداولَ النزيف المتدفقة
السماءَ التي تُكرّر
المذابحَ الدنيئة

وكذلك الطريقة
الشائعة للعلاج

فُتِحتْ شرايينُ
المرضى
وبتهوّرٍ جرى صرفُ

السائلِ الثمين
إلى وعاءٍ قصديريّ

لم يتمالك الجميعُ نفسَه
وديكارت همسَ في احتضاره:
يا سادتي وَفّروا

2

الآن نعرف بالضبط
أنّ داخلَ كلّ إنسان
الضحية والجلاد
يجري تقريبا
أربعةٌ إلى خمسةِ ليتراتٍ
من هذا الذي سَمّوه
روحَ الجسد

عدّةُ أباريقَ من البُورْغندي
جرّةٌ
برُبعِ
سَعةِ الدلو
قليلا

السيّدُ كوجيتو
يَتعَجّبُ بسذاجة
لِمَ لمْ يفعلْ
هذا الكشفُ انقلاباً
في مَجالِ العادات؟

كان على الأقلّ ينبغي أن يُشَجَّعَ
على الادّخار

من غير المسموح كالسابق
بالتبذير بإسراف
في مجالات الحروب
في ساحات الإعدام

حقا هذا قليل
أقلّ من الماء والنفط
ومن موارد الطاقة

جرت الأمورُ بشكل مغاير
واسْتُخْلِصَتْ نتائجُ مخزية

الإسرافُ
بدلا من الكبح

القياسُ الصارمُ
عزّزَ العَدَمِيّينَ
أعطى زخما للطغاة
يعرفون الآن جيدا
بأنّ الإنسانَ هشٌّ
ومن السهل أن تُدْميَه
أربعةٌ إلى خمسةِ ليترات
لا أهميةَ للحجم

وهكذا إذن فانتصارُ العِلم
لم يَجلبِ العَلَفَ الروحيّ
ولا قاعدة للسلوك
أو قاعدة أخلاقية

هذا قليلٌ من السلوان
ويعتقد السيّدُ كوجيتو
في أنّ جهودَ الباحثين
لا تُغيّرُ مسيرةَ الأشياء

إنها تزنُ بقَدْر
تنهيدة الشاعر

أما الدّمُ
فسيبقى يسيلُ

يتخطّى أفقَ الجسد
وحدودَ الخيال

- ربما سيصيرُ طوفانا

الرّسول

Posłaniec

الرسولُ الذي انتظروه بيأس طويلا
النذير المنشود للنصر أو الإبادة
تردّدَ بالمجيء -كانت المأساة بلا قرار

الكورس ردّد في أعماقه نبوءات ولعنات،
الملكُ- من سلالة السمكة-تقلّب في شبكة لا تُصدّق
كان ينقصه الشخصُ الثاني المطلوب- الحظ

الخاتمة كان يعرفها النسرُ السنديانُ الريح وموجة البحر
المشاهدون نصف الموتى تنفسوا بسطحيةٍ كالحجر
الآلهةُ ناموا والليلةُ ساكنة بدون بروق

أخيرا قدم ذلك الرسولُ بقناع من الدّم ووحل النحيب
أطلق صرخاتٍ وأشارَ بيده نحو الشرق
كان ذلك أسوأ من الموت لأنه ليس بشفقة ولا بخوف
كلّ واحد ينشدُ التطهيرَ في اللحظة الأخيرة

السيد كوجيتو عن ضرورة الدقة

Pan Cogito o potrzebie ścisłości

1

السيّد كوجيتو
تُقلقُه مشكلةٌ
من حقل الرياضيات التطبيقية

مصاعبُ نواجهها
أثناءَ العمليات الحسابية

الأطفالُ ليستْ لديهم مشكلة
يجمعون تفاحةً مع تفاحة
يطرحونَ بذرةً من بذرةٍ
والحسابُ متطابقٌ
روضاتُ العالم
تنبض دفئا آمنا

قيست الجُسَيماتُ المادية
وُزِنَت الأجرامُ السماوية

ولكن فقط في الشئون البشرية
يوجدُ إهمالٌ فاضح
هناك نقصٌ في المُعطيات الدقيقة

عبرَ شساعة التاريخِ
يدور شبحٌ
هو شبحُ التعميم

كم من الإغريق فُقِدوا حول طروادة
-لا ندري
كم عددُ المفقودين
من كلا الجانبين
في معركة غوغميلا[64]
وأزينكورتْ[65]
ولايبزيغ[66]
وكوتنو

64 معركة دارتْ رحاها بين داريوش الثالث والاكسندر المقدوني انتهتْ بهزيمة الأول سنة 331 ق.م. (المترجم).

65 أزينكورتْ -هي بلدية تقع في شمال فرنسا دارت فيها سنة 1415، أثناء حرب المائة عام، معركة بين القوات الإنكليزية والفرنسية انهزمتْ فيها فرنسا (المترجم).

66 لايبزيغ- مدينة ألمانية جرت فيها سنة 1813معركةٌ بين نابليون وقوات الحلفاء من ألمانيا وروسيا وبروسيا انهزم فيها الأول، أما كوتنو - فهي مدينة بولندية دارتْ عندها ثلاث معارك تاريخية: الأولى سنة 1770 والثانية في 1914(أثناء الحرب الكونية الأولى)، وسنة 1939 مطلع الغزو الهتلريّ (المترجم).

وكم عددُ ضحايا
الإرهاب
الأبيضِ
الأحمر
البُنّي
-آهٍ، بريئةٌ هي الألوانُ

-لا نعرفُ
صِدْقا لا نعرفُ

السيّدُ كوجيتو
يرفض التفسيرَ المعقول
الريحُ خلَطت الرّماد
والدمُ تدفّقَ للبحرِ

التفسيراتُ المعقولةُ
تُضَخّمُ قلقَ
السيّد كوجيتو

لأنه حتى هذا الذي
يجري أمامَ أنظارنا
يخرجُ عن نطاق الأرقام
يفقدُ البعدَ البشري

لابدّ من وجود خطأ
نقصِ آلةٍ رهيب
أو خطيئة ذاكرة

2
بعضُ الأمثلةِ البسيطة
من حسابِ الضحايا

من السهل تحديدُ
عددِ الضحايا
في الكارثة الجويّة

هذا مهمٌ للوارثين
لشركات التأمين
والمستغرقين في الحداد

نأخذُ عددَ الركّابِ
وطاقم الطائرة
ونضعُ أمامَ كلّ اسمٍ
علامةَ الضرب

الوضعُ أصعبُ قليلا
في حالةِ
كوارث سكك الحديد

إذْ ينبغي إعادة
الأجسادِ الممزقة إلى وضعها
كي لا يبقى أيُّ رأسٍ بدون صاحبه

أثناءَ الكوارثِ
الطبيعية
الحسابُ
يصيرُ
مُعقّدا

نَعدُّ الناجينَ
أما البقيّةُ المبهمة
التي لا هي بالحيّة
ولا قَطْعا بالميتة
فيجري تحديدها بشكل غريبٍ
بالمفقودة

لديهم فرصةٌ
كي يعودوا إلينا
من النارِ
من الماء
من باطنِ الأرض

إذا عادوا - فخيرٌ
وإذا لم يعودا- فما العمل

3
الآن يدخل
السيدُ كوجيتو
أعلى درجةً مترنّحةً من درجاتِ
عدمِ التحديد

يا لصعوبةِ تحديد أسماء
جميع أولئك الذين فُقدوا
في الحرب مع السلطة الظالمة

المعطياتُ الرسميةُ
تقلّلُ من حجمها
مرة أخرى هم بدون رحمة
يُقَطّعونَ القتلى

وتختفي أجسادُهم
في أقبيةٍ كهفية
لمباني البوليس الهائلة

شهودُ العيان
المَعْميّونَ بالغاز
الطرِشُون بإطلاق النار
بالرّعبِ والقنوط
يَميلون للمبالغة

المراقبون الطارئونَ
يُعطون أرقاما مشكوكا فيها
تحملُ كلمةَ
"تقريبا" المُخزية

وعليه فدقةُّ التفاصيل
في هذه القضايا ضرورية
فلا يجوز الخطأ
حتى بالنسبة لشخص واحد

نحنُ رغم كلّ شيء
حرّاسُ إخْوَتِنا

الجهلُ بالمفقودين
يُقَوّضُ واقعَ العالم

يحشرُ في جحيم المظاهر
شبكةَ الجدَليّة الشيطانيةَ
القائلة بانْعدامِ الفوارق
بين المادة والطّيْفِ

علينا مع ذلك أن نعرف،
أنْ نعدَّ بدقّة
أنْ ننادي بالاسم
أنْ نتجهّزَ للطريق

بوعاءٍ فخاريّ
بدُخْنٍ بخشخاشٍ
بمشطٍ عظميّ
بخاتمِ وفاءٍ

وأدعية

عَظَمَةُ الذوق

Potęga smaku

إلى البروفسورة إيزيدورا دومبيسكا

رَفْضُنا خلافُنا وعنادُنا
لم يكنْ هذا يَتطلّبُ شخصية كبيرة أبدا
كنا نمتلك قليلا من الشجاعة الضرورية
لكنْ في الحقيقة كانت تلك مسألة ذوق
نعم ذوق
فيه عروق الروح وغضاريف الضمير

من يدري لو جرى أغراؤنا بشكل أفضلَ وأجمل
كأنْ تُرسَل إلينا نساءٌ ورديات نواعمُ كالرقائق
أو مخلوقاتٌ فنطازيةٌ من لوحات هيرونيم بوش[67]
لكنّ الجحيمَ حينئذ كانتْ
قاعا مبللا، زقاقَ قتلةٍ، ثُكْنَةً

67 هيرونيموس بوش (1450-1516) رسام هولندي، أحد كبار الرسامين الأوروبيين في زمانه، امتاز بلوحاته عن الجحيم وعذاب الإنسان. مفيستوفيليس: شيطان رئيسي من الشياطين السبعة، كان شائعا في أوروبا- القرون الوسطى. إيبوس: إلهة الفجر لدى الإغريق (المترجم).

تُدْعَى قصرَ عدالة
مفيستوفيليس مخمور في معطفٍ لينينيّ قصير
قد أرسل أحفادَ إيبوسَ في المنطقة
أولادا بوجوه من البطاطس
وبناتٍ قبيحاتٍ ذوات أيادي حمراء

كان منطقهم خشنا للغاية
(كان ماركوس توليوس [68]يتقلّب في قبره)
سلاسلَ تكرارٍ جملةَ أفكارٍ كمِدْراس حبوب
جدليّةَ جلادينَ بلا كياسةٍ في الاستدلال
تركيبا يفتقد لرشاقة الرّبط

إذن فالجمالية يمكن أن تكون نافعة في الحياة
لذا فلا ينبغي إهمال تعليم الجمال
وقبل أنْ نُعلنَ انضمامَنا علينا أن ندرسَ بدقّة
هيئةَ العمارة إيقاعَ الطبول والنايات،
الألوان الرسمية وطقس الدفن المشين

عيونُنا وآذانُنا تمرّدتْ
أمراءُ حواسّنا اختاروا المنفى الفخور

---

68 ماركوس توليوس (43-106) أعظم متكلم وخطيب وأسلوبي روماني. وهدف الجملة الاعتراضية هنا واضح (المترجم).

لم يكنْ ذلك يتطلّب شخصيةً كبيرة أبدا
كنّا نمتلك قليلا من الشجاعة الضرورية
لكنْ في حقيقة الأمر كانت تلك مسألةَ ذوقٍ
نعم الذوق
الذي يأمرنا بأن نخرجَ نُعبّسَ نسْخرَ
حتى لو أدّى ذلك إلى سقوط الرأس
رأسمال الجسد البالغ النفاسة

السيّد كوجيتو-مدوناتٌ من بيت ميّت

Pan Cogito-zapiski z martwego domu

٥

انطرَحْنا جنبا إلى جنب
في قاع معبد العبث
مَذْهونينَ بالمعاناة
في أكفان الخوف الرّطبة

كثمارٍ
ساقطة
من شجرة الحياة
تتعفّن على انفراد
كلّ واحد بطريقته الخاصة
وفي هذا تكمن
بقيّةُ الإنسانية

ملفوظين من عرش القادة
بحكمٍ لا يُصدّق
على غرار الجوفمِعَويات[69]

69 الجَوْفمعويات: نوع معيّن من اللافقريات أو الرخويّات (المترجم).

الحيوانات الأوّليّة
والديدان الزقيّة
مُستلَبِينَ من طموح
الوجود

وحينئذ
عندما أطفئت الأنوارُ
على العاشرة مساء
فجأة
كما هو الحال مع الوحي
استجابَ
صوتٌ

رجوليّ
حرّ
يأمر
بالقيام
من بين الأموات

صوتٌ
جبّارٌ
مُلوكيّ

صادر
من بيت العبوديّة

انطرحنا جنبا إلى جنب
مُنصتينَ
بخفوتٍ

وإذا به
يعلو
فوق رؤوسنا

2
لم يعرفْ أحدٌ
وجهه

موصدٌ بإحكام
في مكان عصيّ
يُدعى
دَبير[70]

70 الأوليّات والديدان الزقيّة: ديدان مسطّحة من اللافقريات (المترجم).

في قلب
الخزينة

تحت حراسةِ كهنةٍ قُساة
تحت حراسة ملائكةٍ قُساة

سَمّيْناه آدم
يعني مأخوذ من التراب

في الساعة العاشرة مساء
عندما أطفئت الأنوارُ
بدأ آدمُ الحفلةَ الموسيقية

بالنسبة لآذان العاديين
بدا
كزئير كائن مُقيّد

وبالنسبة لنا
كعيد ظهور إلهي

كان
ماشِيحا[71]
أُضْحِيَةً حيوانية
مُرَتّلَ مزامير

قد مَجّدَ
الصحراءَ اللا تُخَمّن
نداءَ الهاوية
الأنشوطة في الأعالي

صراخُ آدم
تكوّنَ
من اثنين إلى ثلاثة أحرف ليّنة
مبسوطة كأضلاعِ الأفق

بعدها
ثمة وقفة
مفاجئة

تلاها انشقاق الفضاء

71 الماشيح أو المشيح: من العبرية، يعني من تمّ مسحه بزيت الزيتون ملكا كان أو كاهنا وقد يدلّ أيضا على أنه من نسل الملوك أو الرسل (المترجم).

ومن جديد
كقصفِ رعدٍ قريب
ها هما الحرفان نفسهما أو الثلاثة
هي الأحرف الليّنة

تيهور حَجريّ[72]
صوتُ أمواهٍ عديدة
أبواقُ يوم الحساب

ولم يكنْ في ذلك
أيُّ شكوى
أو رجاء
أو ظلّ ألم

نمَا
تضَخّمَ
صارَ مذهلا

عمود الظلام
الذي يبدّدُ
النجوم

72 التّيهور: انهيار ثلجي (المترجم)

3

بعد عدة كونسرتات
لاذ بالصمت

إضاءةُ الصوت
استمرتْ فترة وجيزة

هو لم يَفْتدِ
أتباعَه

لقد أخذوا آدم
أو هو بنفسه عادَ
إلى الأبدية

انطفأ
مصدرُ
التمرّد

وربما
أنا الوحيد فقط
الذي ما زلتُ أسمعُ

صدى
صوته

رهيفا أكثرَ فأكثر
خفيضا
مبتعدا أكثرَ فأكثر
كموسيقى فضاء
كهارمونيا كون

كاملة هكذا
حَدّ أنها لا تُسْمَعُ

تقرير من مدينة محاصرة

Raport z oblężonego miasta

لأنني مُسِنٌّ لا يمكنني أنْ أحملَ السلاحَ، أنْ أقاتلَ كالآخرين-

فلهذا حُدّدَ لي بمنّةٍ دورٌ ثانويّ لمؤرخٍ
أدَوّنُ – من غير المعلوم لِمَنْ- تاريخَ الحصار

عليّ أنْ أكونَ دقيقا بيدَ أنّي لا أعرفُ متى بدأ الغزو
هل قبلَ مائتي سنة في ديسمبرَ سبتمبر ربما أمسِ عند الفجر
الجميعُ هنا يمرضون بفقدانِ الإحساس بالزّمن

لم يبقَ لنا سوى مكانٍ هو التعوّد على المكان
مازلنا نستخدم خرائبَ المعابدِ أشباحَ الحدائقِ والبيوت
إذا فقدنا الخرائب فلن يبقى لنا شيء

أكتبُ بقدر ما أستطيع بإيقاع الأسابيع اللامتناهية
الاثنين: المخازنُ فارغةٌ صارَ الجرذُ هو الوحدة المتداولة
الثلاثاء: قُتِلَ رئيسُ البلدية من قبل جُناةٍ مَجهولين
الأربعاء: محادثاتٌ حول وقفِ إطلاق النار العدوّ اعتقلَ النوابَ

لا نعرف مكانَ إقامتهم يعني مكانَ التعذيب
الخميس: بعد اجتماعٍ عاصفٍ رُفِضَ بأغلبيةِ الأصواتِ
طَلَبُ البقّالينَ حولَ الاستسلام دون قيدٍ أو شرط
الجمعة: بدايةُ الطاعون، السبت: لقد انتحر ن. ن. محامي
الدفاع الصلبُ،
الأحد: نحن بدونِ ماءٍ صَدَدْنا الهجومَ عندَ البوابةِ الشرقية
المسمّاةِ ببوّابةِ التحالف

أعرف أنّ هذه الرّتابةَ لا تُحَرّكُ أحدا

أنا أتجنّبُ التعليقاتِ أحتفظ بالعواطفِ في الانبعاجاتِ أكتبُ
عن الحقائق
ربما هي المعتبرةُ فقط في الأسواقِ الأجنبية
لكنني أرغبُ بافتخارٍ ما بأنْ أُعْلِمَ العالمَ
أنّنا رَبّيْنا بفضلِ الحربِ نوعيةً جديدةً من الأطفال
أطفالُنا لا يُحبّونَ الحكاياتِ هم يلعبون لعبةَ القتل
يحلمون بالحساء والخبز والعظام في النوم واليقظة
تماما كالكلابِ والقطط

في المساءِ أحبّ التجوّلَ في تخوم المدينة
على طول حدودِ حريتنا المضطربة
أنظرُ من عَلٍ لحشدٍ عسكري لأضوائهم

أسمعُ ضجيجَ الطبولِ والزعيق البربريّ
ويا للعجب المدينةُ مازالت تدافعُ

يستمرّ الحصارُ طويلا والأعداءُ لابدّ أن يتغيّروا
لا شيء يجمعهم سوى الرّغبة في إبادتنا
قوطيون تتارٌ سويديون مفارزُ القيصرِ وأفواجُ التجلّي الرّباني

من يَعُدّهم
تتغيرُ ألوانُ الراياتِ كغابةٍ في الأفق
فمِنْ صُفرةٍ طيريّةٍ في الربيعِ وخُضْرةٍ فحُمْرة إلى اسْوادٍ في الشتاء

حينما أكونُ مُحَرَّرًا من الوقائعِ في المساءِ يمكنُ أنْ أفكرّ
بالقضايا القديمةِ البعيدةِ بتحالفاتِنا مثلا
فيما وراءَ البحارِ أعرفُ أنهم يتعاطفون معنا بصراحة
يُرسلون الدقيقَ أكياسا والتهاليلَ والسّمنَ والنصائحَ الجيدة
دونَ أنْ يعرفوا بأنّ آباءهم قد خانونا
حلفاءُ الأمسِ من زمنِ القيامةِ الثانية[73]
أبناؤهم بلا ذنبٍ إنهم يستحقون الشكرَ لذا فنحن مُمْتنّون

73 القيامة الثانية، تعني الحرب العالمية الثانية (المترجم).

هم لم يعيشوا حتى النهايةِ حصارا طويلا كهذا
من مَسّهم السوءُ هم وحيدون دائما
المدافعون أتباعُ (دَلايْلامه) والأكرادُ والأفغانُ الجبليّون

الآن وأنا أُحَرّرُ هذه الكلماتِ قد أحْرَزَ أنصارُ
الوفاقِ تفوّقا ما على جبهةِ المنافحين
ثمة تردّدٌ معتادٌ في الأهواء وما تَتَقرّرُ المصائرُ بعدُ
تتّسِعُ المقابرُ يتضاءلُ عددُ المدافعين
الدفاعُ متواصلٌ وسَيَسْتمِرّ حتى النهاية

وإنْ سقطت المدينةُ ونجا شخصٌ واحدٌ
فسيحمل المدينةَ داخلَهُ في طرقاتِ المنفى
سيكونُ هو المدينة

نُحَدّقُ في وجهِ الجوعِ ووجهِ النار ووجهِ الموت
وجهُ الخيانةِ- هو الأسوأ.

أحلامُنا هي الوحيدةُ التي لم تُذَلّ

(1982)

مرثيّة الوداع

Elegia na odejście

(1990)

السّنديان

Dęby

في غابة فوق كثيب ثلاثُ سنديانات باسقات
طلبتُ منها النصح والمساعدة
لأن الجوقاتِ صامتات والأنبياء ارتحلوا
ولأنه لا أحدَ فوق الأرضِ أكثرُ
مدعاةً للاحترامِ فلهذا أوَجّهُ إليكنّ
- أيتها السنديانات- أسئلة سوداء
أنتظر حُكْمَ القَدَرِ كما كان في دودوني[74]

لكنْ ينبغي الاعترافُ بأنّ طقس الجنين
لديكنّ يُقْلِقُني- أيتها العارفات-
عند نهاية الربيع في بداية الصيف
تَعُجّ ظلالُ الغصون
بالأطفالِ والرضّعِ منكنّ
ملاجئُ الأوراقِ مَياتمُ البراعم
شاحبةٌ شاحبةٌ جدا

74 دودوني: منطقة يونانية قديمة، كانت مركزا لعبادة زيوس، مشهورة ببستان السنديان، وكانت مركزا للتنبؤ والعرافة (المترجم).

أكثرُ وَهناً من الأعشاب
في محيطِ الرّمل
تُصارع وحدَها وحدَها
لماذا لا تدافعْنَ عن أطفالكنّ
الذين سيضع أولّ صقيع عليهم سيفَ الفناء

ماذا تعني- يا سنديانات- الحملةُ المحمومة
مجزرةُ الأبرياءِ الانتقاءُ الظلاميّ
هذه الروحُ النيتشوية فوق الكثيبِ الهادئ
القادر على احتضان أحزان كيتس البلبلية
هاهنا حيث كلّ شيء يدعو
للقُبَلِ للاعترافاتِ للمصالحة

كيف لي أنْ أفهمَ أحاديثكنّ المعتمة،
باروكَ ملائكةٍ رقيقين ورديين ابتسامة نحلاتٍ بيضاء[75]
المَحْكَمَةُ فجرا والتنفيذُ ليلا
الحياة كيفما اتّفقَ ممزوجةٌ بالموت
هي أصغرُ بباروك لا أطيقه
لكنْ مَن الذي يحكمُ
هل هو إله ذو عينين مائيتين بوجهِ محاسب

75 الباروك أو الباروكية هي فترة في تاريخ أوروبا الثقافي نشأت في القرن السابع عشر وبفضلها نشأ (الأسلوب الباروكي) خاصة فيما يتعلق بالفنون البصرية، وكان ينظر إليه قسم من المثقفين باستعلائية باعتباره أسلوبا مبالغا وخدّاعا (المترجم).

خالق لوحاتٍ إحصائية شائنة
الذي يلعب بالنرد وكلّ شيء لصالحه
أم أن الضرورة هي ضرب من المصادفة
وأن المعنى هو توقُ الضعفاء ووَهمُ الخائبين

أسئلةٌ كثيرةٌ- يا سنديانات-
أوراقٌ كثيرةٌ وتحت كلّ ورقةٍ
يأس

قدّاس من أجل المساجين

Msza za uwiężonych

إلى آدم ميخنيك

إذا كانت هذه أضحيةً من أجل مَساجيني
فلتكنْ ومن الأفضل أن تكونَ في مكان غير لائق

بدون موسيقى مَرمريّة
بدون ذهبٍ، بخورٍ، أو بياض

من الأفضل أن تكونَ قربَ كوخٍ تحت صفصافةٍ شعثاء
وقتما يسقط المطر مع الثلج

في منجمٍ مهجور
في مَنْشَرةٍ محروقة
أو في مخزنِ جوعٍ
هناك حيث من جدرانه المكشوطة
بدلا من ملائكةِ الحشر
يرى

الملح
والخلّ

إذا كان ذلك أضحيةً
فينبغي التصالح
مع إخوتنا الذين تحت سطوة اللاشرعية
وهم يُكافحون حتى الرّمق الأخير

أرى
ظلالَهم الشفيفة
تتحرّك ببطء
كما لو في أعماق المحيط

أرى
أيديهم الخاملة
مَرَافِقَهم ورُكَبَهُم العاجزة
خُدودَهم التي عشْعَشَ فيها الظلُّ
أفواهَهم المنفرجة في النوم
وظهورَهم العزلاء

نحن هاهنا وحيدان
-يا معلّمي-

بدون مُتضرّعين[76]
أنظرُ كيف تتحدّثُ مع الكأس
تجدل العقدةَ ثم تفكّها
تُفَرّقُ الكِسَرَ ثم تجمعُها

وأنا أصغي
كيف تُرفرف
فوق رأسي
وتحفُّ
نومينوسُ رمادية[77]

ومع ذلك نستمرّ
نحن المتآمرين

وسط أصداء نبوئيّةٍ
وأصداء مبتذلة

وسط صمتٍ مهيب
ونباحِ مفتاحٍ عنيد

---

76 استعمل الشاعر هنا كلمة (orans أورانس) اللاتينية التي تعني من يتضرع أو يدعو أثناء صلاته وهو مفتوح الذراعين (المترجم) .

77 نومينوس- Numinoses هي ظاهرة خارقة، يعود الفضل في نشر هذه الفكرة للفيلسوف واللاهوتي اللوثريّ الألماني (رودولف أوتو 1869-1937) ويمكن اعتبارها تجربة عاطفية مؤثرة وعميقة (المترجم).

الوداع

Pożegnanie

حانَ الوقتُ لا بدّ من الوداع
بعدَ رحيلِ الطيور فجأةً ترْحلُ الخضرة
نهاية الصيفِ- موضوعٌ تافهٌ بمعنى عزف منفرد على قيثار

أسكنُ الآنَ عندَ منحدر الهضبة
الشبّاكُ على امتدادِ الحائط لهذا أرى بدقةٍ
تعرّشَ الأُمْلودِ الكثيف والصفصاف العاري هي ذي ضفتي

كلّ شيء ينمو في خطوطٍ أُفقيةٍ- النهرُ الكسول
الضفةُ الأخرى المرتفعة تنحدرُ نحو الأسفلِ
يظهر في النهايةِ ما توَجّبَ الاعترافُ به

طينٌ رملٌ صخورٌ كلسيةٌ رُقَعُ دبّالٍ
وغابةٌ هزيلةٌ تبكي الآنَ غابة

أنا سعيدٌ يعني بلا أوهام
تَظهر الشمسُ قليلا لكنّها تُقَدّمُ
عروضا رائعةً لمغيباتٍ قليلا بمزاجِ نيرونَ

أنا هادئ لا بدّ من الرّحيل
أجْسَادنا اتّخَذَتْ لونَ الأرض

صلاةُ المُسنّينَ

Modlitwa starców

لكنْ فيما بعدُ فيما بعد
هل ستُنْكرُنا
بعدما يرحل الأطفالُ النساءُ والحيواناتُ الصبورة
لأنهم لم يعودوا يُطيقون الأيدي الشمعيةَ

والحركاتِ المضطربة كتحليقِ فراشةٍ
الصمتَ العنيدَ، وكلامَنَا والسعالَ
وستكون قريبةً تلك اللحظةُ عندما يَتَضَاءلُ العالمُ في العينِ
سيلفظونه مثل دمعةٍ من العين ويُهَشّمونه كالزّجاج
عندما تُفْتَحُ فجأةً خزانةُ الذاكرة

أسْألك عن ذلك
هل حينئذٍ
ستضمّنا من جديد
لأنه سيكون ذلك بمثابةِ عودةٍ لحضنِ الطفولة
للشجرةِ الهائلةِ للغرفةِ المُظلمة
للحديثِ المقطوعِ للبكاءِ بلا أسفٍ

أعرفُ
إنهّا قضيّةُ دم
ونحن الصوفيين الكسالى نُجَرْجرُ أقدامَنا
بمزمورٍ مُشَوّهٍ وأصابعَ مُحْدَوْدِبة
نُنْصِتُ كيف يتَناثرُ في أوردتنا الرّملُ
وتنمو في الداخلِ المعتمِ كنيسةٌ بيضاء
من ملح الذكرياتِ والكلسِ والضعفِ الذي لا يُوصَف
يأتونَ بكَ من جديد
عبرَ لهاثِ الأجراسِ المتقطع
والأزهارِ المحترقة
عالقون بطعمِ الرقائقِ والكتّانِ الأبيض

إذا كان من الصعبِ أنْ تعملَ منّا ملائكةً
إذنْ حَوّلْنَا إلى كلابٍ سماوية
إلى كلابٍ هجينةٍ بوَبَرٍ منفوش
إلى فراشاتٍ بوجوهٍ رماديّة
إلى عيونِ حصباءَ مُطفأة
لكنْ لا تَسْمَحْ
بأنْ يَبْتلَعَنا
غَسَقُ مذابحكَ النّهِمُ
قُلْ لنا واحدة فقط
بأننا سنعود

موت الأسد

Śmierć Lwa

بوثبات عريضة
خللَ حقول مكشوفة
تحت سماء خفيضة
وغيوم ديسمبريّة
من فسحة مشرقة
إلى غابة داكنة
يهربُ الأسد

وراءَهُ طابورٌ
كثيفٌ من الصيّادين

بوثباتٍ عريضة
بلحيةٍ شعثاء
ووجهٍ مُلْهَمٍ
تحت نيران الحنَقِ
يهرب الأسدُ
إلى غابة في الأفق
وخلفه

اسْتُرْ يا ربّ

تجري مُطارَدَةٌ
شرسة
تجري مطاردةُ
الأسد

وأمَامَهُ
صوفيا أندرييَفْنا[78]
تتصبّبُ عرقا تماما
بعد انتحار صباحيّ
تقلّد صوتَه وتستدعيه
-يا أُسَيْدِي-
بصوتٍ يمكنه
أنْ يُفتّتَ الحجر

وخلفها
أبناءٌ بناتٌ
حاشيةٌ ومُشرّدون
كهنةٌ أرثودوكسيّون

78 عنوان القصيدة هو "ليو" اسم تولستوي نقلته حسب معناه (بالروسية يعني الأسد) لملاءمته لجو القصيدة. وصوفيا أندرييفنا هي زوجة تولستوي (المترجم).

متحرّراتٌ
معتدلون وفوضويون
مسيحيّون وأمّيّونَ
تولستويّون[79]
قوزاق
وأوغادٌ متنوّعون

الأطفالُ يصرخون
والفلّاحون يُلعْلعون

إنّها الجحيم

2
النهايةُ
في محطة صغيرة في أستابوفو[80]
على لوح خشبيّ
في طريق حديديّ
حيث وضع عاملُ السكك الحديدية الرحيم
الأسدَ فوق السّرير

79 تولستويّون، نسبة إلى تولستوي (المترجم).
80 في سنة 1910 مات الكاتبُ ليف تولستوي في مسكن رئيس محطة قطارات أستابوفو الواقعة في منطقة ليبيتسك الروسيّة (المترجم).

هو الآنَ آمِنٌ

اشتعلتْ أضواء التاريخ
فوق المحطة الصغيرة

أغمضَ الأسدُ عينيه
غيرَ مكترث بالعالم
فقط بوب بِيمَن[81]
الجريءُ
الذي أقسم على
سحبِ روح الأسد
إلى الجنة
كان ينحني فوق رأس الأسد
يعلو صوته ليصمّ
تنفّسَه الأجشّ
والأصوات الرهيبة في صدره
يسأله بمكر
-وما العملُ الآن-
- ينبغي أنْ أهرب-
يقول الأسد
ويكرّر ذلك مرة أخرى

81 بوب بيمنْ- كاهن روسي وكلمات الكتاب: الكتاب المقدس (المترجم).

-ينبغي أنْ أهرب-
-إلى أين-
يقول بِيمْبَنْ
-إلى أين أيتها الروح المسيحية-

صمتَ الأسدُ
التجأ إلى الظلّ الأبديّ
إلى الصمتِ الأبديّ

لا أحدَ كان يفهم النبوءة
كما لو أنهم لم يعرفوا كلمات الكتاب

"ينهض شعبٌ ضدّ شعب
ومملكةٌ ضدّ مملكة
البعضُ يقضي بالسيف
والآخرون يُسْبَوْنَ
وسط كل الشعوب
سيكون ذلك وقت الانتقام
من أجل أن يتحقق
كلّ ما كان مكتوبا"

ها هوذا يأتي وقتُ
هجرِ المساكن
الضياعِ في الأحراش
الإبحار الجنونيّ
الطّوافِ في الظلمات
الزّحف في التراب

زمن المُطَارَدِ

زمن الوحشِ الهائل

حكاية المسمار

Bajka o gwoździu

بسبب نقص مسمار تداعت المملكة
-تقول حكمةُ المربّيات-لكنْ منذ زمن
لا توجد في مملكتنا مساميرُ لا توجد ولن تكون
لا الصغيرة المستعملة في دقّ اللوحات الصغيرة
على الحائط ولا الكبيرة التي بها يُغْلقُ التابوت

ورغم ذلك بلْ ربّما بفضل ذلك
تتواصل المملكةُ حتى أنها تثير إعجابَ الآخرين
كيف يمكن العيشُ بدون المسمار والورقِ والحبلِ
الآجرّةِ الأوكسجين الحريةِ وأشياء أخرى بعدُ
الواضح أنّ هذا ممكن طالما هي تتواصل وتتواصل

يَسْكن الناسُ عندنا في البيوت لا في المستنقعات
تُدَخّنُ المصانعُ في السهل يسير القطارُ عبر التّندرة
والسفينةُ تُعْولُ في المحيط البارد
هناك جيشٌ وشرطةٌ ختمٌ نشيدٌ وطنيّ وراية
ظاهريا كلّ شيء موجودٌ كما في كلّ العالم

ظاهريا فقط لأن مملكتنا
ليستْ نتاجَ الطبيعة ولا نتاجَ البشر
هي شِبْهُ قائمةٍ على عظام الماموثِ
في الحقيقة هي ضعيفة كأنها قائمة
ما بينَ الفعلِ والفكرِ والوجودِ والعدم

تسقط الورقةُ والحجرُ وهذا ما هو واقعي
لكنّ الأشباحَ تعيشُ بعنادٍ على الضدّ
من مشارقِ الشمس ومغاربها ودورانِ الأجرام السماوية
وعلى الأرضِ المُهَانةِ تتساقط دموعُ الأشياء

مرثية رحيل القلم الحبر المصباح

Elegia na odejście pióra atramentu lampy

1

حقّا إنّ خيانتي لكبيرةٌ ومن الصعب أنْ تُغتَفر
حتى أنني لا أتذكرُ اليومَ أو الساعةَ التي
تركتُكم فيها يا أصدقاءَ الطفولة

أتوجّهُ بتضرعٍ إليكَ سلفاً
أيها القلمُ ذو المقبض الخشبيّ
المُغَطّى بصبْغةٍ أو طلاءٍ مُقدّد

في الحانوت اليهودي
-حيث السلالمُ تَصِرّ وثمة جرسٌ عند الباب المزجّج-
اخترتُكَ بلونِ الكسلِ
لتحملَ بعد قليل
على جسدك
استغراقَ أسناني
وآثارَ الهموم المدرسيّة

أيتها الريشةُ الفضيّة
يا ذيلَ العقل الناقد

يا رسولَ المعرفة المهدّئة
- بأنّ الأرضَ كروية
- وأنّ الخَطّينِ المُستقيمينِ متوازيان
في علبةِ البقّال
كنتَ بانتظاري مثل سمكة
في حوضِ أسماكٍ أخرى
-تعجّبتُ لكثرةِ
الأشياءِ السائبة
والخرساء تماما-
بعد ذلك
باعتبارك لي أبدا
وضعتُكَ بخشوعٍ في فمي
وشعرتُ طويلا على اللسان
بطعمِ
الحُمّاضِ
والقمرِ

أيها الحِبْرُ
السيّد المُبجّلُ المِدَادُ

ذو السلف الرائعِ
وُلِدْتَ عاليا
كسماء المساء
تجفّ طويلا
مُحترسٌ أنتَ
وصبورٌ للغاية
لقد غيّرْناكَ
في بحرِ سرجاسو[82]
مُغَطّسين في الأعماق الحكيمةِ
الورقَ النشّافَ الشَعَرَ اللّعناتِ والبعوضَ
من أجلِ حجبِ رائحةِ
البركانِ الوديع
استغاثة الهاوية

مَنْ يتذكركم اليومَ
أيها الرفاقُ الظرفاءُ
لقد مضيْتُم بصمتٍ
وراءَ شلالِ الزمن الأخير
مَنْ يتذكركم بامْتنان
في عصرِ البهلوانياتِ السريعة

82 بحر سرجاسو يقع في المحيط الأطلسي في منطقة مثلث برمودا، مشهور بكثافة طحالبه وأعشابه البحرية وتياراته المائية (المترجم).

والأشياء المتعجرفة
بدون رشاقة
بلا اسم
ولا ماضٍ

إذا تحدّثتُ عنكم
فلرغبتي بالكلام
كما لو علّقتُ نذْرا
على عمودٍ محطّم

2
يا ضوءَ طفولتي
يا مصباحا مباركا

أحيانا ألتقي
في حوانيتِ الخردة
بجسدك المدنّسِ

وقد كنتَ من قبلُ
استعارة ناصعة

روحا محُارِبةً بثبات

ضدّ عفاريتِ الظلام[83]
مكشوفا للعيونِ تماما
بسيطا حدّ التجلّي

في قاعِ الخزّان
نفطٌ - إكسيرُ الغابات البدائية
ذُبَالةٌ زلقة
برأسٍ متّقد

أيتها السيّدة الزجاجة الرشيقة
يا قرصَ صفيحٍ فضّي
كسيلينَ في كمالها[84]

مزاجك مزاجُ أميرةٍ
رائعةٍ وقاسية

وهستيريا سيدةِ غِناءٍ
تجاهَلَها الجمهورُ

---

83 في المختارات المعتمة ترد كلمة الغنوصية خطأ على ما يبدو ولهذا اعتمدنا على كلمة الليل أو الظلام استنادا إلى ورودها على لسان الشاعر وهو يقرأ قصيدته بصوته في الراديو البولندي (المترجم).

84 Selene- سيلين: إلهة القمر لدى الإغريق من عرق الجبابرة وهي أخت هيليوس إله الشمس (المترجم).

هو ذا
لحنٌ بهيجٌ
ضوءٌ عسليّ لصيفٍ
وفي أعلى منفذِ الزجاجة
ضفيرة انشراح جليّة

وفجأة
ثمة أصواتٌ جهيرةٌ داكنة
غارةُ عقاعِقَ وغربان
إساءاتٌ ولعنات
نبوءةُ إبادةٍ
حنقُ سِنَاج[85]

لقد عرفتَ مثلَ مسرحيّ كبير أمواجَ الرغبات
ومستنقعاتِ الكآبةِ وقلاعَ التكبّر السوداء
توهّجَ الحرائقِ قوسَ قزح والبحرَ الطليقَ
يمكنكَ بلا صعوبةٍ أنْ تخلقَ من العدم
مناظرَ بِكْرا مدينةً مستعادةً في الماء
وبلمحةٍ منك ظهروا طائعين،
أميرٌ جامح جزيرةٌ وشرفةٌ في فيرونيا[86]

85 السِّناج، هو أثر دخان السّراج على الحائط وسواه (المترجم).

86 فيرونا- Verona، مدينة إيطالية، يعتبر مسرح فيرونا وبيت روميو وجولييت، من بين أشهر معالمها، وإشارة الشاعر هنا واضحة لمشهد من مسرحية شيكسبير: روميو وجوليت (المترجم).

كنتُ وفيّا لكَ
أيّها البدءُ الوضِيءُ
يا آلةَ معرفةٍ
تحت مطارقِ الليل

أمّا رأسِيَ الثاني
المُسَطّحُ المُنعكسُ على السقف
فكان يَنظرُ مِلؤه الرّعبُ
كما لو من مقصورةِ ملائكةٍ
إلى مسرحِ العالم
المتشابك
السيّئ
القاسي

حينئذ فكّرتُ
أنّه ينبغي قبل الطوفان
إنقاذُ
شيء
واحدٍ
صغيرٍ
دافِئٍ
وَفِيّ

هكذا من أجل أنْ يستمرَّ
ونحن فيه كما لو كنّا في قوقعة

3

لم أؤمنْ بروح التواريخ أبدا
المسخِ المختلقِ ذي النظرةِ القاتلة
الوحشِ الديالكتيكي خادمِ الجلّادين

ولا بِكُمْ - يا خيّالةَ القيامةِ الأربعة
هُونِيّ التقدّمِ الجارينَ عبَر براري الأرضِ والسماء[87]
المدَمّرينَ في طريقكم كلّ ما يستحقّ الاحترامَ السّابقَ والأعزل

تحمّلتُ سنواتٍ كي أعرفَ صيغَ التاريخ الجلفة
المسيرةَ الرتيبةَ ومعركةَ البلطجية غير المتكافئة
وهم في طليعةِ الجموع مُشَوّشي الأذهان
مقابلَ قلّة من الأسوياء الشرعيين

لم يبقَ لي الكثيرُ
قليلٌ جدا

87 الهوني: واحد الهون، وهم شعب مغولي مترحّل استطاع السيطرة بقيادة أتيلا عام 450 م على قسط لا بأس به من أوروبا الشرقية والوسطى، والهوني يعني أيضا الشخص الميّال للتدمير (المترجم).

الأشياءُ
والشفقة

نهجرُ بِطَيْشٍ حدائقَ الطفولةِ حدائقَ الأشياءِ
مُجْهِضِينَ أثناء الهروبِ المخطوطاتِ المصابيحَ الزيتيةَ وجلالَ
القلم
هكذا هي رحلتنا الوهميّةُ عند حوافي العدم

اغفرْ لي جحودي أيّها القلمُ ذو الريشةِ القديمة
وأنتِ أيتها الدّواة - كم من الأفكار الطيبة ماتزال فيكِ
اغفرْ لي أيها المصباحُ النفطيّ -أنت تنطفئ في الذكرياتِ
كمُعسكرٍ مهجور

لقد دفعتُ ثمنَ الخيانة
غيرَ أنني لم أكنْ أعرف
أنكم سترحلون للأبد

وسيحلّ
الظلام

روفيجو

Rovigo

(1992)

إلى هنريك إلزينبيرغ بمناسبة عيد ميلاده المئة

Do Henryka Elzenberga w stulecie Jego urodzin

من سأكون لو لم ألتقِ بك-يا أستاذي هنريك[88]
يا مَنْ أتوجّه إليه بالاسم لأوّل مرة
بتقديس ووقارٍ يليقُ-بالظِلال الوارفة

لكنتُ حتى نهاية حياتي ذلك الولدَ المضحك
الذي يبحثُ
لاهثا كتومًا خجولا من كيانه الخاص
الولدَ الذي لا يعرفُ

عشنا في أوقاتٍ حقا كانتْ حكايةَ أبلهٍ
حافلةً بالضجيج والجريمة
رِقّتكَ الصارمةُ وقوّتك الناعمة
علّمْتنا كيف نثبتُ في عالم كحجر مُفكّر
صبور غير مبال وحنون في الوقت نفسه

88 هنريك ألزينبرغ (1887-1967)- فيلسوف بولندي اهتم بعلم الأخلاق والجمال وتاريخ الفن وعلم القيم، كان الشاعر هربرت يجالسه ويبدو أنه تأثر ببعض أفكاره (المترجم).

طاف حولك سفسطائيّون وأولئك الذين يفكّرون بالمطرقة
جدليّون أفّاكون أتباعُ العدم- نظرتَ إليهم
عبرَ نظّارات دامعةٍ قليلا
نظرةَ مَنْ يَغفرُ وليس عليه أن يغفر

طوال حياتي لم أستطعْ أنْ أنتزعَ من نفسي كلمة شكر
وأنتَ ما زلتَ على فراش الموت -هكذا قيل لي-انتظرتَ صوتَ
تلميذك
الذي أجهزتْ عليه الممرّضاتُ القاسيات
في مدينة الأضواء المصطنعة عند نهر السّين

لكنّ قانون لوائح الدير-باقية[89]
المجد لأسلافك
وإلى القلّةِ الذين أحبّوك

المجدُ لأسفارك
الرشيقة
المتألّقة
الأكثر ديمومة من البرونز

المجدُ لمهدك

89 من المرجح أن الشاعر يقصد هنا اللوائح الإثني عشر (بحدود 450 ق.م)، أي التشريع القديم الذي قام عليه دستور الجمهورية الرومانية (المترجم).

سيرة ذاتية

Życiorys

كنتُ فتى هادئا حالما قليلا- والغريب-
مختلفا عن أترابي – المُتيّمينَ في المغامرات-
ما كنتُ أنتظر شيئا-ولم أتطلع عبرَ نافذة

في المدرسة- كنتُ مجتهدا أكثرَ منّي موهوبا، مطيعا بدون مشاكل

بعد ذلك كانت حياتي طبيعية بدرجة موظّف مكتبيّ
الاستيقاظ صباحا الشارع الترام المكتب مرة أخرى الترام البيت
ثم النوم

لا أعرف حقّا لا أعرف من أين هذا التعبُ القلقُ المعاناة
دائما وحتى الآن-حينما يكون لديّ الحقّ في أنْ أستريح

أعرف أنّني لم أبلغْ شأوا -لم أحقّقْ أيّ شيء
جمعتُ الطوابعَ البريدية الأعشاب الطبّية لعبتُ لا بأسَ في
الشطرنج

مرّة كنتُ خارج الحدود-في عطلة-عند البحر الأسود
في الصورة قبّعة من القشّ وجهٌ مسفوع-سعيد تقريبا

قرأتُ ما كان في متناول اليد: عن الاشتراكية العلميّة
عن الرّحلات الفضائية والمكائن المفكّرة
والشيء الذي أحببته أكثر هو: كتاب حول حياة النحل

شأني شأن الآخرين أردتُ أنْ أعرف ماذا سيحدثُ لي بعد الموت
هل سأحصلُ على شقّة جديدة وهل للحياة معنى

وقبل كلّ شيء كيف لي أنْ أميّز الخيرَ من الشرّ
أنْ أعرفَ بالضبط ما هو أبيض وما هو تماما أسود

هناك منْ أوصاني بعملٍ لمؤلّف كلاسيكيّ-كما قال-
لقد غيّر هذا العملُ حياته وحياةَ ملايين الناس
قرأتُه- لكنّني لم أتغيّرْ -من العيب أن أعترف-
نسيتُ تماما ما اسمُ هذا الكلاسيكيّ

ربّما لم أحْيَ ـ عشتُ فقط-مَرْميّا بدون إرادتي
في شيء ما- من الصعب التحكّم فيه ومن غير الممكن استيعابه
كظلٍّ على حائط

إذنْ هذه لم تكنْ حياة
حياة طبيعيّة كاملة

كيف لي أنْ أفسّرَ لزوجتي وللآخرين أيضا
بأنني قد شحذتُ كاملَ قوايَ
كي لا أرتكب حماقة ولا أخضع للإيحاءات
كي لا أتآخَى مع الأقوى

هذا صحيحٌ-كنتُ شاحبا دائما. عاديّا. في المدرسة والجيش
في المكتب في بيتي وفي أمْسِيَات الرقص.

أنطرحُ الآن في المستشفى وأموتُ بسبب الشيخوخة
هنا أيضا هذا القلق نفسه والعذاب
لو ولدتُ مرة ثانية ربما لكنتُ أفضل

أستيقظ في الليل مُعْرَوْرِقا. أحدّقُ في السقف. هدوء.
ومن جديد-للمرة الثانية-بيدي المتعبة حتى النخاع
أطردُ الأرواحَ السيّئة وأسْتدْعِي الحسنة

أيدي أسلافي

Ręce moich przodków

تعملُ داخلي دون كللٍ أيدي أسلافي
أيدٍ متراصّة قويّة عَظْميّة اعتادتْ على قيادة الجواد
ومهارة استعمال السّيف والسّيف الضالع وسيف المبارزة[90]

-يا له من هدوء جليل- هدوء الطعنة القاتلة

ما الذي تودّ أن تقوله أيدي أسلافي
الأيدي الزيتيّة من العالم السفلي
أكيد ما كنتُ لأستسلمَ
إذنْ هي تعمل داخلي كما في العجينة
التي يُصنع منها الخبزُ الأسمرُ

وهذا الذي يفوق خيالي
هو أن يضعوني بفظاظةٍ على السّرج
ورجليّ في الرّكاب

90 هناك ثلاثة أنواع من السيوف يوردها الشاعر: السيف العادي، والضالع، أي السيف المعقوف ذو الحدّ الواحد، وسيف المبارزة الرفيع (المترجم).

إلى يهودا عميحاي

Do Jehudy Amichaja

لأنك ملكٌ وأنا أمير
بدون أرضٍ مع شعبي الذي يثق بي أتيه في الليل
أرِقا
أما أنتَ فملكٌ وتنظر إليّ بصداقةٍ
وخشيةٍ- كم من الوقتِ يمكنني الطواف
حولَ العالم

- طويلا يا يهودا حتى النهاية

حتى إشاراتنا مختلفة- إيماءةُ الرحمةِ إيماءةُ الازدراء
إيماءةُ التفهّمِ
- لا أطلبُ منك أيّ شيء سوى التفهم

أغفو أمامَ الموقدِ وكفّي تحت رأسي
عندما يتوهّجُ الليلُ تعوي الكلابُ ويسيرُ في المرتفعات
العسس

قَسَم

Przysięga

لنْ أنساكنّ أبدا آنساتي سيّداتي-العابرات-
المرئيات فجأة في الحشد فوق السلالم في البار في متاهة المترو
من نوافذ السيّارات
كبروق الصيف-هو تنبّؤ الطقس
كمناظر البلاد المُزيّنة بانعكاس البحيرة
كظاهرة في المرآة
في عرس هذا الذي يوجد وهذا المحسوس للتوّ
في الحفلة
عندما تخبو الأوركسترا
ويضعُ الغبشُ في النوافذ
شموعا غيرَ مُضاءة

لن أنساكنَ أبدا- يا نبعَ الفرح النقيّ-عشتُ أيضا
بفضل عيون المها-وأفواهٍ ليست هي أفواهي
والأيادي البنّية التي اختارت الأسماك الفضية بحنان

أتذكرك أيتها الصبيّةُ من الأنتيل ربّما على أحسن وجه

مرئيّةً مرّةً واحدة من chez le marchand des journaux[91]
نظرتُ صامتا حبستُ أنفاسي-كي لا أنَفّرَك
وعبرَ لحظةٍ فكّرتُ-وأنا أمشي معكِ
كان بإمكاننا أنْ نُغيّر العالم

أسْتعيدُ في ذاكرتي الوفيّة
وجوها شاخصةً روحانية مجهولة
ووردةً

في شَعْرٍ أسود

91 مرثية واحدة... من صحف الدّكاكين(هذا معناها وتركتها كما جاءت بالفرنسية). يستفيد الشاعرُ من لغات متعددة في بعض قصائده، خاصة الفرنسية واللاتينية والألمانية، نترك بعضها كما هي في المتن، بينما ترجمنا البعض الآخر(المترجم).

أخِيل، بنتيسيلا

Achilles, Pentezylea

عندما طعنَ أخيلُ صدرَ بنتيسيلا بسيف أعضب،
دوّر الأداةَ ثلاثَ مرّات-كما ينبغي- في الجرح، لكنّه لاحظ
في انبهارٍ مفاجئ-بأنّ ملكة الأمازون جميلة. قامَ بوضعها
بحنانٍ على الرّمل، نزع الخوذة عنها، نثرَ شعرَها وبتؤدّةٍ
وضعَ يديها على صدرها. غير أنه لم يجرؤ على غلق عينيها.
نظرَ إليها، مرّةً أخرى، نظرةَ وداع كما لو كان خاضعا
لقوّة غريبة، بكى-كما لم يبكِ من قبلُ لا هو نفسه ولا الآخرون
أبطالُ هذه الحرب-بصوتٍ كظيمٍ ومتضرّعٍ خافتٍ وعاجزٍ،
عاد إليه التذمّرُ -وفترة الندم الذي لا يعرفه ابن ثيتيس[92]
لقد وقعتْ مقاطعُ هذا الرّثاء الممتدةُ على رقبة،
وصدر وركبتي بنتيسيلا كالأوراق والتفّتْ على
امتداد الجسد البارد.
هي نفسها تجهّزتْ للصيد الأبديّ في غابات مبهمة.
عيناها غير المغلقتين ما زالتا عينين، تطلّعتا من بعيد
للظافر- بكراهيّةٍ عنيدة زرقاء

92 ثيتيس- في الميثولوجيا الإغريقية، حورية بحر ذات قدمين فضيتين، وهي أمّ أخيل، وتُعدّ من بين أقدم المعبودات لدى الإغريق (المترجم).

إلى تشيسواف ميووش

Do Czesława Miłosza

1

أضواء النجوم-فوق خليج سان فرانسيسكو
الضبابُ صباحا يشطرُ العالمَ على قسمينِ
ومن غير المعلوم من هو الأهمُّ الأفضلُ ومن هو الأسوأ
حتى أنه لا يسمح بالتفكير بهمسٍ بأنهما متكافئان

2

يهبط الملائكة من السماء
هَلّلويا
عندما تضعُ السماءُ
في اللازورديّ
حروفها المائلة
المُتناثرة [93]

93 القصيدة غامضة باعتقادنا. كان الشاعر حينها في خلاف مع ميووش وكأنها تشي بشيء يضمره الشاعر ولم يفصحْ عنه حتى النهاية(المترجم).

أبيلوج العاصفة

Epilog burzy

(1998)

جدّتي

Babcia

جدّتي الأكثرُ قدسيّة
بفستانها الضيّق
المُزَرّرِ
بعَددٍ لا يُحْصَى
من الأزرار
هي كالسَحْلَبية
كالأرخبيل
ككوكبة نجوم

أجلس على ركبتيها
وهي تروي ليَ
الكونَ
من الجمعة
إلى الأحد

منصتا
أعرف كلّ شيء -
كلّ شيء منها-

لكنها فقط لا تبوح لي
بأصلها
جدّتي مريمُ من باوَابان
مريمُ المُجَرّية

لا تقولُ لي أيّ شيء
عن مجزرة
الأرمنِ-
مجزرةِ الأتراك

تريد أنْ تُوفّرَ عليّ
بعضَ سنواتٍ من الوهم

مُدركةً بأنني سأعيش
وسأعرف وحدي
بدون كلماتِ التّعزيمَ والبكاء
السطحَ
الخشنَ
والقاعَ
للكلمة

دعاء

Brewiarz

سيّدي،
هبْني قُدرةَ تأليف جُمل طويلة السطرُ فيها
سطرُ تنفّسٍ، ممتدٌّ كالجسور، كقوس قزح،
كألفا وأوميغا المحيطِ
يا سيدي، هبْني قوةَ وبراعةَ أولئك الذين يشيدون
جملا طويلة، واسعة كالبلوطِ، رحيبةً كوادٍ كبير،
كي تسعَ العوالمَ، جثثَ العالمين، عوالم الأحلام

وأيضا كي تسودَ الجملُ الرئيسةُ بالتأكيدِ على الثانوية منها،
تسيطر على مسيرتها العويصة، إنما البينة كعزف مصاحب
متواصلٍ، إصرارٌ على حركة العناصر كي تجذبها كما تجذب
العناصرَ قوةٌ جاذبيةٍ بفعل قوانين غير مرئية

لذا أصلّي من أجل الجُمل الطويلة الجمل المجبولةِ في الكدحِ،
الشاسعة حدّ أن يوجدَ فيها انعكاسُ الكنيسة، المُصلّى، واللوحة
الثلاثية[94]

94 ألفا وأوميغا- Alfa Omega: الحرف الأول والأخير من الأبجدية الإغريقية يرمزان للإله الكلي القدرة، بمعنى البدء والختام وبهذا الفهم وردا في إنجيل يوحنّا.

وكذلك الحيواناتُ الضخمة والصغيرة، محطاتُ القطارات،
القلبُ
المليء بالأسى، هاويةُ الصخور وأخدودُ المصائر في اليد

الصوت المصاحب أو الثانوي-Basso continuo: مصطلح إيطالي في موسيقا الباروك وهو عزف على وتر أو أكثر يكون تنويعا وسندا للعازف الرئيس. اللوحة الثلاثية-Triptych: لوحة فنية ثلاثية الأبعاد نشأت تحت تأثير الكنيسة وولادة وعذابات السيد المسيح (المترجم).

دعاء

Brewiarz

سيّدي
أعِنّا على ابتداعِ فاكهةٍ
صورةِ حلوى نقيّة
ولقاءٍ لكلا المظهرين
الفجرِ والغسقِ
أَخْرِجْ من ثنايا البحر
جهيرَ الأعماق الصافية
وأيضا فَتاةً
عمياءَ كالقدر
الفتاةَ التي تُغَنّي – بل كانتو[95]

95 بلكانتو-belcanto ، أسلوب في الموسيقى والغناء ساد في إيطاليا في عصر الباروك ويعني الغناء أو الأداء الموسيقي الجميل (المترجم).

دعاء

Brewiarz

سيّدي
أعرفُ أنّ أيامِيَ معدودة
لم يبقَ منها الكثيرُ
إلا بمقدار ما سألحق لجمع الرّمل
الذي يسترون به وجهي

خلاص لن ألحقَ
كي أرضيَ المظلومين
ولا أنْ أعتذرَ لكلّ مَنْ
ألحقتُ به الأذى
لهذا فروحي حزينة

حياتي
ينبغي عليها أن تدور
ثم تنتهي كسونيتة مُؤلّفة جيدا
والآن أرى بدقة

للحظةٍ قبل المقطع الختامي[96]
أوتارا مُجْتَزأة
ألوانا وكلماتٍ موضوعةً خطئا
لَغَطاً تنافرا
ولغاتِ فوضى

لماذا لم تكن حياتي
كالدوائرِ في الماء
بدايةً مستيقظةً في أعماقٍ لا متناهية
بدايةً تنمو،
تتشكل في أوانٍ درجاتٍ وثنايا
حتى تنتهي مطمئنةً
عند حضرتك المبهمة

96 المقطع الختامي: يصطلح عليه بالتقفيلة في السونيتة الموسيقية (المترجم).

قطعتُ وعدًا

Dałem słowo

كنتُ غرّا
وكان العقلُ ينصحني
بأنْ لا أعطي وعدا

كان يمكنني أنْ أقول بجرأة
سأنظر في الأمر مرّة أخرى
لا داعي للعجلة
هذا ليس توقيتا لمواعيد السفر

سأعطي كلمةً بعد امتحان الإعدادية
بعد الخدمة العسكرية
بعد أنْ أبْنيَ بيتي

غيرَ أنّ الوقتَ تفاقمَ
لم يكنْ ثمة مُتّسَعٌ من قبلُ
لم يعدْ ثمة مُتّسَعٌ بعدُ
في وقت التعميةِ الآن

كان ينبغي أن أختارَ
لذلك أعطيتُ وعدا

كلمةً-
حبلا حول الرقبة
كلمةً نهائية

في اللحظات النادرة
حينما يُصبح كلُّ شيء خفيفا
يصير شفيفا
أقول لنفسي:
" أُقسمُ
بودّي أنْ
أسحبَ تلك الكلمة"

يستغرقُ هذا قليلا
فها هنا-يَصِرّ محورُ العالم
تمرّ الناسُ
المناظرُ الطبيعية
وأطواقُ الزمن الملّون
أما الكلمةُ الموعودة
فقد علقتْ في الحنجرة

ديانا

Diana

عمليّا ماذا يعنيني
أنّ كونَ هاتين الساقين تعودان
لأميرةٍ حقيقية

البقيةُ كانت
افتراضية

عمليّا ماذا يُجديني
أنّ هاتين الساقين
حينما كانتا إلى حينٍ تُشكّلان
كُلّاً لا مُتخيلا
تطلّبَتَا
رعايةً أكثر
كابتسامةِ نفرتيتي
كمِثالٍ

لزمانِ وفضاء
كائنا في غرينويج[97]

97 غرينويج - Greenwich منطقة في لندن كانت بمثابة مدينة، ومنذ التسعينات أدخلتها اليونسكو في قائمة التراث الثقافي الإنساني (المترجم).

لغة الحلم

Język snu

حينما أنام
كالجميع
قبل الفجر
أديرُ ساعتي

أغرق في مركب
شراعيّ أبيض
الموجةُ ترفعني
من المركب الأبيض
أبحث عن المفتاح
أقاتل التنّينَ
الذي يضحك
أوقدُ المصباحَ
وقبلَ كلّ شيء
أثرثرُ

أظنّ
أنّ الجميعَ يحلمون على هيئة صُوَرٍ
لكنني أحكي لنفسي
كلّ هذه القصصِ الغبيّة
كما لو أنني نمْتُ
في ركامٍ
من القصّ

لكنْ هكذا عليها أن تكونَ
لغةُ الحلم
لغةٌ رائعةٌ بعيدةَ المدى
أثيريةً
حالَمَا تهجر النحوَ
قواعدَ علم الأصوات
ولغةَ البذاءةِ
اللغة التي لا أعرفها

حينما أنامُ
في مكان القطّ
أحيانا تعتري الجسدَ
النحاسيّ رعشةٌ
اللّحنُ المتأوّهُ
تسمعه الآذانُ

وقتئذٍ
تنغلق
لغةُ الحلمِ
المستقلة عن
التعب

نقيّة
لغةُ رعبٍ عذبة

كانْت. في أيامه الأخيرة

Kant. Ostatnie dni

حقا -أيتها الطبيعة- هذا لا يدلّ
على شهامتك
لأنه إذا لم تكوني شهمة
فبإمكانك ألا تكوني أبدا

ألم يكنْ بوسعكِ حقا أنْ تَهَبيه مِيتةً مفاجئة
كنَفثِ شمعة
كانزلاقِ باروكةٍ على الأرضِ
كرِحْلةٍ قصيرةٍ لخاتم
فوق طاولة ملساء
وهو يتدحرج يدور
ثم يصير مثل جُعَلٍ
نافق

إذن لمَ هذه الألاعيبُ القاسية
مع العجوز:
فقدان الذاكرة

الصحوة اللاواعية
والخوفُ من الليل
أليس هو القائل:
"حذارِ من الأحلامِ السيئة"
هو الذي فوق رأسه مَجْلَدةٌ بيضاء
ومكان الساعة ذات السلسلة-ثمة بركان

إنه لَمِنْ غير اللائق
أنْ يُؤْمَرَ هذا
الذي يتمرَّنُ في حرفة الطيفِ
كي يصبحَ-فجأةً-
شبحا

النهاية

Koniec

والآن لن أكونَ موجودا في أية
صورة جماعية (الدليل الفخور على موتي
في كل أسبوعيات العالم الأدبية) عندما سيقول شخص ما
انظروا أتَرَوْنَ- هذا زبيغنيف – وهو يُشير بإصبعه
إلى رجلٍ يتصارع مع حقيبته- لكنه لسْتُ
أنا بل هو شخص آخر حتى أنه ليس من نفس المهنة
لستُ موجودا كلّا لستُ إنه فراغٌ مُطْبِقٌ
حتى لو جمعتُ إرادتي في بُؤرةٍ واحدة
لما استطعتُ للحظةٍ حتى في لمعة المغنيسيوم
أن أكونَ إذن لستُ موجودا
خلاص
هكذا باستبدادية لستُ موجودا كما لو بدوتُ عَدُوّ
الثورةِ وقبلَها وقفتُ آمنا في شمس
القائدِ

الخازوق

PAL

لا أدري ضدّ مَنْ (يا للعنة)
هذا الهجومُ الكاسحُ
لمدفعية الألم الثقيلة طالما أنّ كلّ سنتيمتر من الهواء
كلّ بوصةٍ من الأرضِ قد خُدّدتْ وقُلِبَ أعاليها أسافلها
لقد مُسِحَتْ عبرَ الهجومِ السابقِ، إذن ما جدوى
ضراوة الألم هذه طالما أنه إشارة
والألم إشارة مُرْسَلَةٌ إلى هيئة الأركان
بينما الجميع قد فرّوا تاركين في الطريق أوامرَ الدّمار
الأخيرة، إذن ما جدوى هذه البُرَحَاءِ، رجفةِ الغثيانِ الباردة،
وهذا الصراخِ تحت سماء خفيضة معتمة
لِمُسَمّرٍ على الخازوق

السيد كوجيتو. حالة الروح الراهنة

Pan Cogito. Aktualna pozycja duszy

منذ وقتٍ ما
يحمل السيّد كوجيتو
روحَهُ
على الكتف

هذا يعني
حالة طوارئ

إنّ وضعَ الروح
على الكتف
عمليةٌ شفّافةٌ
عليها أنْ تتمّ
بدونِ عجالةٍ محمومة
ومشاهدَ معروفةٍ
من الحرب
من إخلاء
المدن المُحاصرة

أحَبّتِ الروحُ أنْ تتّخذَ
صُوَرا شتّى
وهي الآن صخرة

أَنْشَبَتْ مخالبها
في كتفِ السيد كوجيتو اليسرى
وهي تنتظر

ربما ستغادر
جسدَ السيد كوجيتو
في النّوم

أو في وَضَح النهار
بوعي كامل
سيتمّ الوداعُ
القصيُر كصفيرِ
مرآةٍ منكسرة

حتى الآن
هي تجلس فوق الكتف
مُسْتعدّة للطيران

في المدينة

W mieście

في مدينتي الحدودية التي لن أعودَ إليها
ثمة حجرٌ مُجنّحٌ خفيفٌ وهائل
الصواعقُ تقرع هذا الحجرَ المُجنّح
أغمضُ عينيّ كي أستحضرَه

في مدينتي النائية التي لن أعودَ إليها
ثمة ماءٌ ثقيلٌ وعذب
مَنْ يسقك منه كأسا
يَعْتَقِدْ – أنك ستعود إليه مرةً أخرى

في مدينتي الغائبة عن خريطة
العالم ثمة خبزٌ يمكنه أن يُعيلَ
الحياةَ كلّها أسودُ كالإيمان بأنكم سترون ثانيةً

الحجرَ الخبزَ الماءَ وثباتَ الأبراج في الغَبشِ

ماذا بوسعي أن أفعله للسيّد أكثر

Co mogę jeszcze zrobić dla pana?

هذا كثيرٌ جدا
أنْ تفتحَ النافذة
أنْ تُرَتّبَ الوسادة
أنْ تسكبَ الشايَ الباردَ

-هذا كلّه
-كلّه

كثيرٌ
وقليلٌ في الوقت نفسه

ينبغي
أن تعمل هذا بعناية
وتفكير
أن تفتحَ النافذة على طول الربيع
أنْ تُرَتّبَ الرأسَ وفقا لهيئةِ الوسادة

سيكون من المرعب أنْ تفكّرَ
ما بوسع القراءة المحرّرة من القيد
أن تفعله
مدرسةُ الكتابة
لا يُقنعها التصريحُ
بأنّ كلّ شيء من الماء
أو أنّ كلّ شيء من النار
وليس من الطباعة
والحفرِ بمنقار القلم المدبب
في النصوص

ومع ذلك ما تزال تقوم
من جديد
والشكوى لله
معاهداتٌ
أختامٌ
استدعاءات
ومحارق

الوقت

Czas

ها أنذا أعيش في أزمنةٍ مختلفة جامدا كحشرة في كهرمان،
إذن بلا زمن، أيْ أنّ أعضائي جامدة ولا ألقي
ظلّا على الجدار، كلّي في كهفٍ، كما في الكهرمان،
جامدا، إذنْ غير كائن:
ها أنذا أعيش في أزمنة مختلفة، جامدا، لكنني مزوّد
بكلّ الحركات، أيْ أنّي أعيشُ في الفضاء وأنتمي إليه وكلّ
ما هو فضاءٌ يَمنحني شكْلَهُ المُتغيّرَ الأخّاذ؛
ها أنذا أعيش في أزمنة مختلفة، غيرَ كائنٍ، جامدا بشكل موجع،
ومتحرّكا بشكل موجع، ولا أعرفُ حقا، ماذا أُعْطِيتُ وماذا
اسْتُقْطِعَ منّي
للأبد

آخرةُ السيد كوجيتو

Zaświaty Pana Cogito

ليس كلُّ شيءٍ حسبَ رأي
السيد كوجيتو
هو من منظور هذا العالم
هذا العالمُ
إنما هو ذلك العالم
هذه مقالبُ النظرية النسبية
هذا الذي هنا
هو هناك
ذلك العالم
هو هذا

إذاً ليس كلُّ شيء
يسير على ما يرام

هل السيّدُ كوجيتو
لم يُفسّرْ
بأناةٍ

أنّه كان ينبغي
عدمُ توقيعِ عقد
مع الشرّير

وعدمُ التوقّع
بأنّ النوايا الحسنة
تُحفّزُ حتما
النتائج المفيدة

ولا آلافا أخرى
من التوصياتِ العامة
واستعمالاتها الخاصة

وهكذا مازال
يوجّه لحكّام العالم
نصائحَه الجيدة

مثلما دائما
دائما
بدون نتيجة

الشيخوخة

Starość

كلّ هذا رأيتُه مُبكّرا جدا
وعليه فالحبكاتُ ارتبطتْ منطقيّا ببعضها جيدا
يعني أفضلَ
القطّ شو-شو نفسه يتدفأ ما بين الرّبلةِ والفخذ
الحلمُ هو نفسُه - اصطيادُ الفئرانِ وبلوغُ البرجِ
الذكريات قاطبةً ليستْ ضرورية لي
يتقلّبُ الواقعُ ببطء في الأوردة
أمام عينين مُغلقتين
أعرفُ أنه هو الذي خانَ
توسيعاتُ الموضوعِ ليست ضروريةً لي
لأنّ كلّ شيء يتكرر

الآنَ أفْضَلُ
لأنني لستُ فضوليا

بورتريه نهاية القرن

Portret końca wieku

مُحَطّما بالمخدّرات مُختنقا بوشاحِ المحروقات
محترقا في نجمة مشتعلة تتوهّج الأخرى العظيمة
نجمة المساءات الثلاث -الفوضى الرغبة والعذاب
تعتلي منصّة الوثب وتبدأ من جديد

يا قزمَ أزمانِنا يا نجمةَ المساءات الخافتة
يا فنّانا بقدم مِعزى يا مَنْ يُقلّد خالقَ العالم
يا رؤية دنيويّة استعراضية يا أميرَ السائرين أثناء النوم
احْجبِ الوجهَ الكريه

استدعِ حَمَلَ ماءِ التطهير طالما أنّ هناك وقتا[98]
لتشرق النجمة الحقيقية قُدّاس الموت لموتسارت[99]
استدعِ النجمة الحقيقية أرضَ الجوريّ[100]
ليتحقّقْ عيدُ الظهور فالصفحة الجديدة مُشْرَعة

98 الحَمَل، أو الخروف، يرمز إلى البساطة والبراءة والطهارة والطاعة والحلاوة في التقاليد المسيحية (المترجم).

99 قدّاس الموت: معزوفة ألّفها الموسيقار موتسارت في 1791 ولم يكملها بسبب موته (المترجم).

100 الجوريّ، نسبة إلى الورد الجوري- الورد الدمشقيّ (المترجم).

الحنان

Czułość

ماذا عليّ أنْ أفعلَ معكَ أيها الحنانُ
الحنانُ للحجرِ للطيورِ وللنّاسِ
لكَ أن تغفو داخل الكفّ في قاع العين هناك
مكانكَ ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يوقظك

تُفْسِدُ كلَّ شيء تقلبه رأسا على عقب
تختصر المأساةَ بغرامٍ مطبخي
وتغيّرُ تسامي الفكرة
إلى تأوهٍ هتافاتٍ ونشيج

أنْ أصفَ ذلك يعني أنْ أقتله لأنّ دورك
هو الجلوس في العتمة في صالةٍ فارغةٍ باردة
أنْ تجلسَ وحيدا في عين المرمر، عندما يتحدثُ العقلُ بهدوء،
حيث الضبابُ والعبراتُ تتدحرجُ على الوجه

حلمتُ بميووش

Śnił mi się Miłosz

حلمتُ بميووشَ مرة أخرى كان هذه المرةَ
حلما كاملا يعني كان يلعب فيه دورا رئيسا
الغرفةُ الكبيرةُ كانتْ تُضيئها أشعةُ الشمس
بسطوعٍ هكذا حتى أنني غضضتُ الطرف

حلمتُ به بأشكال عدة أحيانا في جُنَينةٍ
معلّقةٍ في كاليفورنيا حينئذ فكّرتُ بأنها(...؟[101])
أو في الحيّ اللاتيني وهو يتحرك بسرعة
عبرَ نوافذَ حانةٍ وسخةٍ عبرَ الشاشة الزجاجية
كان يحمل تحت إبطه مجلداتٍ ضخمة أكيد لسويدنبورغ[102]

101 مابين قوسين كلمة غير واضحة القصيدة الأصل بخط الشاعر، ولا أحد من البولنديين صحّفها حتى الآن. كتبت القصيدة نهاية السبعينات (المترجم).

102 إيمانويل سويدنبورغ - (1688-1772) Swedenborg فيلسوف وباحث ومتصوف ومفسّر للكتاب المقدس، ولد في السويد وتوفي في لندن. له مؤلفات عديدة من بينها كتاب "عن السماء والجحيم".عاش مدة خمس وعشرين سنة في لندن ولأن سكانها قليلو الكلام صار من عادته أن يتحدث مع الجن والملائكة، سمح له الربُّ بزيارة عالم آخر والتعرف على سكانه. كان يرى سويدنبورغ بأن على الروح لكي تدخل السماء أن تكون ذكيةً ولا يكفيها كما قال المسيح "بأن تكون عادلة". تأثّر بعوالمه الصوفية ورؤاه الشاعران البولنديان: آدم ميتسكيفيتش، وتشيسواف ميووش (المترجم).

كالمعلّمِ الذي يقود تلميذا كسولا
إلى يوم القيامة

الشَعَرُ

Włosy

الشّعَرُ
ينمو في الليل
على الحائط

هذه ليستْ عقْصَةً
خلفَ أذنِ الذاكرة

هو لا ينتمي أيضا
إلى رحم الليل النشطة

بانْفِصَالهِ عن الجلد
يعيشُ حياةً
مُجْدِبةً ومُنْفَصِلة

له حركاتٌ قلقة
لأبسطِ لَمْسَةٍ
يتوتَّرُ
حدَّ الألم

لا هو أبيضَ
ولا هو أسْود
لونه بالأحرى
الحفيفُ

صريفُ الأسنان
والصرخةُ المفاجئة
أو النتفُ بالأصابع
ليس بمستطاعها أنْ تُجَفّله
الشعرُ ينمو مُباشرةً على الجدار

السيد كوجيتو الحلم- اليقظة

Pan Cogito sen-przebudzenie

سارتْ بخطو ثابتٍ كالنبع
في فستانٍ من الحصى
في ضوءِ البتولا في لحاءِ الصُّنْح
كان الفجرُ يمشي على يمينها وعلى اليسار
يمتدُّ مَسارٌ إذن هكذا سار- الوقتُ والمكان

لستُ أنا الصارخَ، مَرميّا
سقطتُ في اليقظة والآن إذن أبحث
بالعصا عن عُودِ ثقابٍ بيدٍ عَرْقى
بين الرسالةِ والدواء للنوم
ومنظرها في العينين الفارغتين
يحفُّ كالحبل يضوع كزهرةِ الخشخاش

ملاحق نقدية

لماذا الكلاسيكيون؟[103]

اخترتُ هذه القصيدة بتردد. لا أراها أفضل قصائدي التي كتبتها، ولا أنها بتلك التي بإمكانها تمثيل برنامجي الشعري. أعتقد أن لها خصلتين وهما: أنها بسيطة، غير مترهلة وتتحدث عن القضايا التي تشغل بالي، بدون مزوقات زائدة أو أسلبة.

هذه القصيدة ذات بنية بثلاثة أجزاء. في الجزء الأول تتحدث عن حدث مستلّ من عمل مؤلف قديم. كما لو أنه ملاحظة من كتاب مدرسي. في الجزء الثاني أقوم بنقل هذا الحدث إلى أوقاتنا الراهنة كي أُحْدثَ توتّرا، تصادما، وأكشف عن الفرق الجوهري ما بين المواقف والتصرفات. أما في الجزء الثالث والأخير، فتتضمّن خلاصة أو عِبْرة وهي في الوقت ذاته تنقل مسألة من حقل التاريخ إلى حقل الفن.

لا عليك أن تكون متبحّرا في الأدب المعاصر كي تلحظ سِمَتَه- انفجار اليأس وعدم الإيمان. كل القيم الأوروبية الأساسية جرى الطعن بها. آلاف الروايات، المسرحيات والقصائد تتحدث عن الدمار الذي لا مفرّ منه، عن لا معنى الحياة وعبثية الوجود البشري.

---

103 لماذا الكلاسيكيون، قصيدة (نشرت في ديوان: "كتابة" الصادر عام 1969، إلا أنها ظهرت مترجمة لأول مرة بالألمانية سنة 1967) كتب الشاعر ورقته تحت العنوان نفسه، وساهم بها في الندوة العالمية المنعقدة تحت شعار "القصيدة ومؤلفها"، في برلين في ديسمبر/كانون الأول عام 1966، واشترك هربرت مع الشاعر روزيفيتش بأمسية مشتركة (المترجم).

لا أنوي التهكّم على التشاؤمية طالما أنها ردة فعل على شرّ العالم. لكنني أعتقد، بأنّ نبرة الأدب المعاصر السوداء لها جذور في الموقف الذي يتخذه المبدعون إزاء الواقع. وعليه فأنا أردتُ الهجوم على هذا الموقف.

فكرة الشاعر الرومانسي التي تُعرّي جراحه وهي تتحدث عن تعاسته الخاصة تحظى اليوم بكثير من المناصرين، على الرغم من التحوّلات في الأساليب والأذواق الأدبيّة. من المتعارف عليه، أن التباهي بالذاتانية، واستعراض "الذات" المعذّبة هي حق مقدّس للفنان.

لو كانت هناك مدرسة أدبية لكان من بين تمارينها الأساسية ليس وصف الأحلام وإنّما وصف الأشياء. فما عدا يدَ الفنّان يمتدّ عالم ثقيل، معتمٌ لكنه واقعيّ. لا ينبغي فقدان الإيمان في الإحاطة به عبر الكلمة، وتطبيق العدالة فيه.

حصل ذلك، مبكرا جدا، في بداية عملي الكتابيّ تقريبا، حينما توصّلتُ إلى قناعة بأن عليّ الحصول على موضوع ما من خارج الأدب. بدا لي أنّ الكتابة كتمرين أسلوبي عقيمةٌ. الشعر باعتباره فنّ الكلمة أوصلني إلى التثاؤب. فهمتُ أيضا، بأنه من غير المقبول لي أن أتغذّى على شعر الآخرين. كان يجب عليّ أن أخرج خارج نفسي والأدب، معاينا العالم من أجل أنْ أحصلَ على فضاءات واقع أخرى.

لقد منحتني الفلسفةُ شجاعةً لطرح الأسئلة الأولية، الجوهرية، والأساسيّة: هل العالم موجود، ما هي ماهيّته وهل هو مُدْرَكٌ. إذا كان بالإمكان عمل فائدة من هذا المجال على صعيد الشعر-بدون تفسير النُّظُم، فإنّما بخلق دراما الفكر.

ألجأ إلى التاريخ ليس بهدف أنْ أمتحَ منه درسَ أملٍ سهلا، لكنّما من أجل مقابلة تجربتي بتجارب الآخرين، من أجل الحصول على ما أسمّيه بالتعاطف الشامل، وكذلك الشعور بالمسئوليّة، الإحساس بالمسئولية عن حالة الضمير.

حلم الشاعر القديم هو في أن يصيرَ عمله موضوعا محددا كالحجر كالشجرة، من أجل أن يحصل عمله المخلوق في مادة اللغة دائمة التحول على وجود دائم. وإحدى هذه الطرق هي في قذفه بعيدا خارجَ نفسه، بمسح الصلات بينه وبين خالقه. هكذا أفهم نصيحة فلوبير: "على الفنّانِ أن يختبئ في عمله كالإله الذي لا يظهر في الطبيعة".

(1966)

ملامسة الواقع

يعتريني ذعر داخلي حينما أتخيّل نفسي وأنا أسير في شارع أثينيّ في أوقات بريكليس (لكلّ واحد منّا حقبته المحبّبة)، لكنْ مَنْ تراني أقابل فيه؟- بالطبع أقابل سقراط- الذي يمسكني من مرفقي ويبدأ معي بهذه الطريقة الماكرة:

-مرحبا! حسنا أنني أقابلك. أمسِ تحدّثنا مع أصدقائي عن الشعر: ما هي ماهيّته وهل يقول الحقيقة أم أنه يكذب. لكنْ لا أحدَ منّا أجاب، لا سوفرون، ولا كريتون، ولا فلاطون، حتى أنهم لا ينظمون الشعر. أما أنت فتمارسه حتى أنهم يشيدون بك على ذلك، إذنْ لا بدّ وأنك تمتلك معرفة حول ذلك، ما هو الشعر.

أعرف الآن جيدا بأنّ القضية بالنسبة لي خاسرة. تحيط بنا دائرةٌ متفرّجين. أشاطر مصيرَ الجنرال (لاخيس) الذي لم يستطع أن يُعطي تعريفا للشجاعة، و(بولونوس)- السفسطائيّ الذي لا يعرف البلاغة، وكذلك مصير الكاهن(يوثيفرو) الذي لا يمكنه أن يقول عن التقوى أيّ شيء حكيم.

إذن ستكون النهاية هكذا: سأخرج خجِلا، مُلاحَقا بالضحك، وسيُلعْلعُ خلفي صوتُ الجدليّ:

-كيف يمكنك أن تبتعد عنّا وتتركنا في ظلمة الجهل، أنت الوحيد الذي بإمكانه أن يُضيء؟ ترفعُ الغموضَ، وبكلماتك الساحرة ستوهمنا من جديد. أما نحن فلا ندري، هل علينا أن نخضع لسحرك أم علينا

أن ندافع عن أنفسنا منه؟

مع كامل محبّتي للأثينيّ الكبير لكنه كان يبدو لي دائما أنّ ثمة وجود جرعة معينّة من الابتزاز في حواراته وكيفية إدارتها؛ لأنه من الممكن أن تكون شجاعا ولا تستطيع أن تقدّم تعريفا للشجاعة، وأن تكتب قصائد جيدة وتكون مُنَظّرا هزيلا.

فلغة الشعر ذاتها -مسيرة التفكير غير الاستطرادية- منهج توظيف الصورة، والمجاز، والشكل الهندسي المكافئ، والتأرجح ما بين ما هو جليّ وما هو بالكاد محسوس بالحدس -كل ذلك يعطي حججا دفاعية.

أنا واثق بأن الشعر في كل محاولاته الطموحة يحاول أنْ يُلامسَ الواقع. بطرق مختلفة عمّا هو في العلم، ولا ينبغي أن يستسلم أيضا لضغوطات عصرنا العقلاني جدا.

التكنوقراطيون يتنبأون بنهاية الشعر. المتخصصون بالتحكم الآلي يقولون، إن مضمونها هو "الضجيج"، هل يعني هذا نقصا في المعلوماتية؟ من سيكون الشاعر في العصر الآتي؟ كاهنا تطوّقه التعاويذ؟ باعثا لأساطير البشرية القديمة؟ أم أنه سيكون مهرّجا في بلاط الباحثين العلميّين؟

أقرأ تقارير (Rand Corporation). هذه منظمة للباحثين الأميركيين، بمعنى أنها مجمع عقول، من بين مهامها هو توقّع التقدم العلمي. وعليه فنحن من هذه الوثيقة نعرف بأنه في غضون الستين سنة القادمة سنستخدم الحيوانات: كالقردة، لأن ذكاءَها يتطور بحيث يمكنها أخذ مكان العمّال غير المؤهّلين، وأن الحياة البشرية ستطول خمسين سنة بفضل السيطرة الكيميائية على مسيرة الشيخوخة،

إضافة إلى الرّحلات الفضائية بفضل تجميد الأجسام، وجعل الجسم يعيش في حالة سبات أطول، وسنتمكن من السفر عبر الزمن.

إن ميزة التقرير تكمن في ربط تقدّم البشرية بتقدّم العلم (أسطورة القرن العشرين)، وبموضعة تأملاته التاريخية خارج المألوف. كما لو أن مسيرة البرابرة الصمّاء لم تُلغِ ولم تُدَمّر، بشكل غير مسبوق، رؤى العقل التنويرية.

معلّمو التاريخ في المدارس المتوسطة أدخلوا في عقولنا بأن "التاريخ هو معلّمُ الحياة". لكنه عندما بانَ بكامل مظهره البربري- رَحِما حقيقية فوق مدينتي- أدركتُ أنه معلّم غريب. أولئك الذين عاشوه بوعي، وعاشوا كلّ ما أعقبه، لديهم مادة أكبر للتأمل مما لدى قرّاء التواريخ القدامى. إنها لمادة شائكة ومعتمة. تحتاج إلى عمل ضمائر كثيرة كي تُكشَف.

رأى (نيكولاس فلامل) المُنَجّم الفرنسي من القرون الوسطى، مرةً في الحلم ملاكا كان يحمل سِفْرا مفتوحا يحتوي معرفة حول الكون، والإنسان والمستقبل. استغرقت حجةُ نيكولاس فلامل أربعة وعشرين عاما إلى السِّفْر المشار إليه المرئي في الحلم قبل أن يكتشفه.

البشريةُ لا تتخلى عن حلمها في علامةٍ، تعويذة، أو صيغة تفسّرُ معنى الحياة. هناك ضرورة للقانون، ولمعايير تسمح بفصل الشرّ عن الخير، للائحة واضحة من القيم- هي ضرورة ملحّة الآن كما في السابق.

عندما سُئل آباؤنا وأجدادُنا عن القيم الخالدة، قادَهم فكرهم بثبات إلى العصور القديمة. حيث الكرامة البشرية، والشجاعة، والموضوعية التي قد شعّتْ من كتابات الكلاسيكيين.

لكنّه بالنسبة إلى الكلاسيكيين القدامى وهواة العصور القديمة كانت

اليونان وروما، بمثابة جزيرتي سعادة، تحت شمس العقل ازدهر فيها العفّةُ والتناغم والتوازن. وعليه فصيغة (فينكلمان) القائلة: "بساطة نبيلة وحجم هادئ" شغلت العقول لفترة طويلة. لقد وصلتنا التماثيل الإغريقية مغسولة بالمطر، منزوعة من ألوان الحياة، نظيفة كالأفكار الفلاطونية. لقد فتح المنظور التاريخي المتعمّق أعيننا على فترات معتمة.

أستاذي في الفلسفة وهو يعلّمنا الحكمة اليونانية غرس في داخلنا الحماسة للرواقيين، لقد أنقذنا ذلك من الجنون حينما حدث في أوقات "حبّ المصير". قرأنا وقتئذ لأبكتيتوس، ولماركوس أوريليوس، وتمرّنّا على فنّ الأتاراكسيا، الذي يطرد الاضطراب والشهوة من الروح. إنّ العيش بتواؤم مع الطبيعة يعني مع العقل، كان تجربة صعبة في خضمّ عالم مهتاج، وصرخات الكراهية.

هناك نقاد واثقون ومتفائلون كثيرا بالعالم يتهمونني بالتشاؤم. كان ذلك يبدو لي دائما على أنه سوء فهم. حتى لو غلبتْ نبرة داكنة في القصائد فهذا لا يعني البتة، أن المؤلف يريد السخرية من نقص العالم وأنه يريد أن يضيف نُوَاحَه إلى تعاسات الواقع، ويضاعف اليأس.

كما هو الحال مع السخرية التي هي ليستْ استخفافا، وإنما حياءُ مشاعر. الشيء الذي يبدو تشاؤميا في ظاهره، هو نداء مكتوم للخير، لزيادة الخير، لإيقاظ الضمائر.

وبالتأكيد فليس من قبيل الصدفة، أنّ المؤلفين المبتهجين كانوا يلفّون ويدورون دائما في دوائر الطغاة.

الحوار مع الماضي، والإنصاتُ إلى أصوات أولئك الذين رحلوا، ملامسة الأحجار التي تركت عليها جزئيا نقوشُ حظوظٍ سالفة،

واستدعاء الأشباح هو من أجل أنْ تتغذى على شفقتنا...

إنّ تذوق الماضي يعني، ربّما ولا يجب، الهروب من الحاضر ومن خيبة الأمل. لأننا لو قرّرنا الرحيل في الزمن بكامل حقائب خبراتنا، وتغلغلنا في الخرافات، والرّموز والأساطير، بهدف استنباط ما هو حيوي منها، لما جرّدنا هذه الأعمال من حيوية الموقف.

قال (باراسيلسوس) إن خلق العالم من قبل الله ليس مكتملا، وأن الإنسان دُعي لكي ينهي عملَ الخلق. وهذا اعتراف إنساني جميل وعظيم.

إن الشعور بهشاشة ووَهن الحياة البشرية يبدو أقلّ مدعاة للاكتئاب فيما لو وضعناه في سلسلة التواريخ التي هي إيصال الإيمان إلى عزيمة الجهود والتطلعات. وحينئذ سيكون حتى الخوفُ مجردَ نداء من أجل الأمل ليس إلا[104].

(1966)

---

104 بريكليس (429-490 ق.م): أحد أكبر السياسين اليونانيين القدامى، كان رئيسا للحزب الشعبي وهو خطيب متفوّه ومصلح ديموقراطي. سوفرون (حوالي 470-400 ق.م): كاتب يونانيّ وهو مؤلف "الإيماءات" التي كتبها بالنثر المسجوع وهي مسرحية فكاهية. كريتون: أحد أثرياء اليونان وكان صديق سقراط وأراد أن يخرجه من السجن، ورد اسمه في مؤلف "كريتو" محاورة للفيلسوف افلاطون. لاخيس: قائد من أثينا القديمة ورد ذكره في محاورة افلاطون الآنفة الذكر. بولوس: كان أحد الفلاسفة السفسطائيين في اليونان القديمة، ورد ذكره في محاورة افلاطون. أوتيفرون: عنوان إحدى محاورات افلاطون ولكنه كان شخصية ذات معرفة دينية كبيرة. نيكولاس فلاميل (1330-1418) كاتب عدل فرنسي، خيميائيّ وطبيب عيون، اكتشف سرّ تحويل الحجر إلى ذهب. أبكتاتوس(55--135م): فيلسوف رواقي روماني كان صاحب فكرة: أن مصدر السعادة هي النفس لا ما يحيط بها. ماركوس أوريليوس (180-121 ميلادية): هو الإمبراطور الروماني السادس عشر، وكان فيلسوفا رواقيا مرموقا. باروسيلسوس: كيميائي ومنجم وساحر وطبيب من عصر النهضة (المترجم).

الشاعرُ إزاء المعاصرة

ينبغي الاعتراف بأن موضوع لقائنا اليوم: الشاعر إزاء المعاصرة، قد أثار ردةَ فعل لديّ على تقارنٍ سلبيّ وفضوليّ كافٍ بين النقاشات الفارغة المضلّلة من فترة الواقعية الاشتراكية وبين مجمل الشعرية المعيارية الغريبة عنّي.

لحسن الحظ، أن عدد أولئك قليلٌ ممّنْ دافعوا (كما أعتقد على الأقل) عن فرضيّة الشعر المتعالية المفضوحة التي تُحوّل العالمَ وتُجري انقلاباتٍ مفاجئة في الوعي الاجتماعي، وبين ذلك الشعر الذي من مهمته الالتزام بالجانب الصحيح الوحيد المسمّى بجانب المتراس.

لا يعرف التاريخُ ولا حتى مثالا واحدا على أن الفنَّ أو الفنّانَ تمكّنا في أي زمان أو مكان ما من التأثير المباشر على مصير العالم- وتنجم عن هذه الحقيقة الحزينة.

خلاصةٌ مفادها أن علينا أن نكونَ متواضعينَ، وواعينَ بمحدوديةِ دورنا وقوّتنا.

يبدو ذلك وكأنه اعترافُ ذوّاقةٍ، ودعوةٌ للاعتكاف في برج عاجيّ، وهذا الموقف هو الآخرُ غريبٌ عليّ تماما. المقصود هنا، هو مواجهة طغيان التقسيمات الثنائية الفرعية، التي تقطع الواقع الإنساني المعقّد، وكذلك ترسيم حدود الشعر-كما أفهمها أنا-بلا تعسّفٍ، ولكنْ بدون عقدة نقص.

قبل عدة أشهر عدتُ من الولايات المتحدة الأميركية؛ وكان قد برز أثناء الحديث مع عديد من زملائي الأميركيين موضوع حول ضرورة "الالتزام". المصطلح نفسه غائم بما يكفي لكي يثبّطنا عن استعماله. كثير من الشباب في الغرب من المهتمين بالسينما، والفنون التشكيلية والأدب، يُعلنون بصورة صارخة بأنهم يقفون إلى جانب "اليسار" المدرك، أو بالأحرى المقروء بصورة مختلفة. وكثيرا ما أنا أفكر، لماذا الأعمال الناجمة عن مثل هذا الموقف النبيل في جوهره، هي غير ناضجة ذهنيّا، كما لو أنّ التصريح بالمبادئ الإنسانية قد قاد إلى أرض الابتذال. سألتُ نفسي مرارا، ألم يكن العطفُ السياسيّ الذي يُحدّد قيمة العمل الفنّي عقابا غاية في القسوة.

يتأمل (توماس مان) في إحدى مقالاته في مفارقة تفاوت وتناقض الروح وموقفها من معضلة الإنسان. يقول مان: إن الروح ذات مستويات عدّة وأيّ علاقة بمعضلات الإنسان بالنسبة لها ممكنة، الإنسانية منها أو غير الإنسانية كذلك. الروح ليستْ وحدة متراصّة، لا تشكّل قوة محكمة حازمة في تشكيل العالم، والحياة، والمجتمع بطريقتها الخاصة. في الحقيقة جرى -يستنبط متابعا مؤلف "الجبل السحري"-إعلان تضامن كافة المفكرين- على أن هذه العملية غير ممكنة. لا توجد غربة أعمق ولا تعصّبا أكثر احتقارا وحقدا ممّا هو بين ممثلي بعض أشكال الفكر والنزعات الروحية. إن التصوّرَ بانّ الروح بطبيعتها -أستخدم هنا مصطلحا اجتماعيا- سياسيا- تقف إلى جانب "اليسار"، وأنها في الحقيقة، مرتبطة بفكرة الحرية، والتقدّم، والإنسانية، يحمل في داخله شيئا ما عرضيا. هذا الاعتقاد غالبا ما

يجري دحضه. أقول، إن الروح يمكنها أن تكون كذلك إلى جانب اليمين، ويكون ذلك في روعة تامة. قال (سانت-بوف) عن جوزيف دو مَسْتر مؤلف كتاب "عن البابا": "كان يملك من الكاتب الموهبة فقط"- عبارة جميلة جدا، فيها إلى جانب القناعة الآنفة الذكر، القائلة بأن الأدب والتقدم متطابقان، تظهر فكرة في الوقت نفسه، مفادها أنه وسط أعظم المواهب، وأروعها خفة دم ونباهة، يمكن أن يكون هناك مادحٌ لأشياء غير إنسانية، كالإعدام، والحرق، ومحاكم التفتيش، بمعنى كل ما يمكن أن يسمّيه التقدم والليبرالية بمملكة الظلام.

انزلقتُ ها هنا-لكنْ بوعي تام-في أرض السياسة الموحلة. إنّ عالمنا، وحاضرنا محدّدان وفقا لمعايير السياسة والعلوم، وليس وفقا لمعايير الفن. ومن هنا يأتي تباكي الشعراء لأنهم بلا مأوى-وهذه حقيقة(ولكن الحال لم تكنْ مغايرة أبدا)، ومحاولتهم مغازلة السياسة والعلم-وهذا أمر معيب.

إن مجال عمل الشاعر، إذا كانت له علاقة جدّية بعمله، ليست هي المعاصرة، التي أفهم من خلالها واقع حال المعرفة الاجتماعية-السياسية والعلمية-وإنّما هو الواقع، والحوار الصلب للإنسان مع الواقع المعيّن الذي يحيط به، مع هذه الطاولة، مع هذا القريب، مع هذا الوقت من اليوم، ورعاية مهارة التأمل العابرة.

ولكنْ قبل كلّ شيء-بناء القيم، بناء لائحة قيم، وتحديد سلّمها، بمعنى اختيارها بشكل واعٍ، وأخلاقي، بكامل عواقبها الحياتية والفنية، المرتبطة بذلك-ويبدو لي أنّ هذه هي وظيفة الثقافة الأساسية الأكثر أهمية.

ولا تعفينا من هذه المهمة السياسةُ كونها لعبة فرص وكثيرا ما هي استراتيجية، وميكانزم ذاتي غير مرتبط بالواقع، وليست هي ذلك الذي عليها أن تكونه: كعمل مكان للمبادرة وللبراعة الإنسانية.

إن محاولة الفنان إقامة حوار مع العلم يُعطي على الأكثر إن لم يكن دائما، نتائج وخيمة، ببساطة، لأنه لا يمكن ترجمة صورة الفيزيائيين للعالم إلى لغة الفن. نحن من خلال الطليعة والمستقبليين أصبحنا أكثرَ غنى بيأس آخر: لقد انهارت الأسطورةُ التي رأتْ في تقدّم المعرفة ضمانةً لحلّ مشاكل وقلق البشرية. لقد تبيّنَ أن جنّة الوَضْعِيينَ فارغة.

من هذه الهذيانات العامة جدا، وأعرف أنها عادية، بودّي أنْ أعرّجَ على فن النظم.

وهكذا لا توجد لديّ ادّعاءات بالعِصْمة، وأنا أعبّر عن ميولي فحسب، بودّي أنْ أقول بأنّ ما يعنيني في الشعر المعاصر أكثر هي تلك القصائد التي ألحظ فيها ما أسمّيه ميزةَ الشفّافية السيميائيّة (استعرتُ هذا المصطلح من منطق هُوسَّرْل). هذه الشفافية السيميائية هي مِلْك للعلامة التي تعتمد على أنها وهي في وقت استخدامها تكون الانتباهةُ موجّهةً إلى الموضوع المُعَلّم وأن العلامة ذاتها لا تلفت الانتباه إليها. الكلمة هي نافذةٌ مشرعة على الواقع.

ومن هنا تعجبني أقلّ (أحيانا البتة) القصائد الكثيفة بالاستعارات والتراكيب الغريبة، "القصائد الموضوعات"، التي لا ترى عداها شيئا، لأنّ هدفها هو جلب انتباه القارئ لبراعة المؤلف.

من هنا فإن المُسَلّمَةَ البسيطة التي عَبّر عنها في صَلاتِه (توماس

موروس)، وأتعجّب جدا كيف أنها لم تُصبحْ حتى الآن جزءا مهمّا من بيان شعري:

تَلَطّفْ وأعْطني روحا غريبٌ عليها الضجر
روحا لا تعرف التذمّر، والتنهدّات والإدمان،
ولا تسمحْ لي بأنْ أقلق أكثرَ من اللازم
حول هذا السائد الذي يُسَمّى "الأنا".

إلهي، هَبْنِي روحَ الدعابة،
أعْطِنِي نِعْمَةَ إدراكِ المزاح
كيْ أعرفَ في حياتي قليلا من السعادة،
وكيْ يكونَ بوسعي منحها للآخرين[105].

(1972)

---

105 يوهان يواخيم فينكلمان(1717-1768) آثاري ومؤرخ تاريخ الفن، ألماني، انصبّ اهتمامه على الأعمال الفنية العظيمة، وينظر إليه على أنه مؤسس علم الآثار الكلاسيكي، ويعتبر كتاباه: " تأملات حول الأعمال الإغريقية في الرسم والنحت(1755) و"تاريخ الفنّ في العصور القديمة" (1764) أهمّ مؤلفاته. مات قتلا أثناء وجوده في مدينة تريست الإيطالية. ابكيتوس: فيلسوف رواقي روماني، دعا إلى الإخاء، وكان يعتقد أن النفس هي معين السعادة وليس ما هو خارجها. وماركوس أوريليوس: هو الأمبراطور الروماني السادس عشر، كان يعتبر من أهم الفلاسفة الرواقيين. الأتاراكسيا: كلمة إغريقية بمعنى التوازن الروحي، والتحرر من التكلف والقلق وبلوغ السعادة الروحية التي تجد مصدرها في العفة والعقل. باراسيلسوس(1493-1541) ولد في سويسرا وتوفي في النمسا، كان طبيبا وكيميائيا ومنجّما وباحثا ومفكرا بارعا في عصر النهضة. جوزيف دو مستر- Joseph de Maistr(1754-1821) فيلسوف وأديب فرنسي هو أهم كتّاب اليمين السياسي، في فترة الثورة الفرنسية. أما شارل سانت-بوف(1804-1869) فكان كاتبا وناقدا فرنسيا بارعا وعضوا في الأكاديمية الفرنسية ويعتبر مبدع النقد السيرويّ (المترجم).

الفهرس

مقدمة المترجم

ديوان "وتر الضوء" 1956

قطرتان

البيت

ثلاث قصائد من الذاكرة

كتابة

إلى ماركوس أوريليوس

الكاهن

معمار

الوتر

شاهدي

الوصية

غابة الأردن

أمّي

آياتُ الوحديوجودي

مقطع من مزهرية إغريقية

نيكه المترددة

العِرافة

ديوان "هرميس، الكلب والنجمة" 1957

أودّ أن أصف

نفرتيتي

ماذا يفعل موتانا

حكاية

مقْرعة

المصطفون من قبل النجوم
أبدا عنك
مدرّس الطبيعيات
الملاك السابع
عن ترجمة الشعر
الأذن الوردية
حادثة
حرير الروح
نشيدُ الطبل

"قصائد نثر"
الكمان
السكارى
الأشياء
بلاد
قط
الأقزام
البئر
جنّةُ اللاهوتيين
الموتى
الملائكة السبعة
القراصنة
جدّي
في الطريق إلى دلفي
الكلاسيكي
النسيم والوردة
الرسّام
هرميس، الكلب والنجمة

القيصر
الأسماك
حياة محارب
المنتحر
من تكنولوجيا الدموع
حلم القيصر

ديوان "دراسة الشيء" 1961

صندوق يُدعَى المخيّلة
خوفنا
من الميثولوجيا
عودة البروقنصل
رثاء فورتينبراس
محاولة وصف
دراسة الشيء
الحصاة
صوتي الداخلي
إلى عظامي
مسمار في السماء
المكعّب الخشبيّ
اللسان
الكراسي

ديوان "كتابة" 1969

برولوج
مكان
استجوابُ الملاك
تقرير من الجنة

بيت الشاعر
بلا رابط
لماذا الكلاسيكيون
الذي يأتي

ديوان "السيّد كوجيتو" 1974

السيّد كوجيتو يُراقبُ وجهه في المرآة
حول رِجْلَي السيّد كوجيتو
السيد كوجيتو يفكر في العودة إلى مدينته الأم
السيد كوجيتو يتأمل في المعاناة
هاوية السيد كوجيتو
السيد كوجيتو والفكر الصافي
السيد كوجيتو يقرأ الجريدة
السيد كوجيتو وحركة الفكر
اغترابات السيد كوجيتو
السيد كوجيتو يُراقب صديقا ميتا
قصيدة في آخر الخريف للسيد كوجيتو مخصصة للمجلات النسائية
السيد كوجيتو ينظر في الفرق ما بين صوت الإنسان وصوت الطبيعة
السيد كوجيتو يأسى لشحة الأحلام
السيد كوجيتو والشاعر في سنّ معينة
السيد كوجيتو والبوب
السيد كوجيتو عن السحر
بروميثيوس العجوز
كاليغولا
السيد كوجيتو يستلم أحيانا رسائل غريبة
لعبة السيد كوجيتو

ما رأي السيد كوجيتو في الجحيم
رسالة السيد كوجيتو

ديوان "تقرير من مدينة محاصرة وقصائد أخرى" 1983

الذي رأيتُ
من أعلى السلالم
روح السيد كجيتو
مرثية
إلى النهر
السيد كوجيتو- العودة
السيد كوجيتو والمخيّلة
رسالة إلى ريشارد كرينيتسكي
السيد كوجيتو عن العفّة
هواجس السيد كوجيتو الأُخرَويّة
بابل
قتلةُ الملوك
السيد كوجيتو يفكر في الدم
الرسول
السيد كوجيتو عن ضرورة الدقة
عَظَمَةُ الذوق
السيد كوجيتو-مدونات من بيت ميّت
تقرير من مدينة محاصرة

ديوان "مرثيّةُ الوداع" 1990

السّنْديان
قُدّاس من أجل المساجين
الوداع
صلاة المُستّين

موت الأسد
حكاية مسمار
مرثية رحيل القلم الحبر المصباح

ديوان "روفيجو" 1992

إلى هنريك إلزينبيرغ
سيرة ذاتية
أيدي أسلافي
إلى يهودا عميحاي
قَسَم
أخيل، بنتيسيلا
إلى تشيسواف ميووش

ديوان "أبيلوج العاصفة" 1998

جدّتي
دعاء
دعاء
دعاء
قطعتُ وعدا
ديانا
لغة الحلم
كانتْ في أيامه الأخيرة
النهاية
الخازوق
السيد كوجيتو. حالة الروح الراهنة
في المدينة
ماذا بوسعي أن أفعله للسيد أكثر
الوقت

آخرةُ السيد كوجيتو
الشيخوخة
بورتريه نهاية القرن
الحنان
حلمْتُ بميووش
الشَّعَرُ
السيد كوجيتو الحلم- اليقظة

ملاحق نقدية
لماذا الكلاسيكيون
ملامسة الواقع
الشاعر إزاء المعاصرة